عدد خاص

Yanabee'a

ينابيع

ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٥٤

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١١/ العَدَد ٥٤ المحرم الحرام ـ صفر ١٤٣٥هـ/ تشرين٢ ـ كانون١ ٢٠١٣م

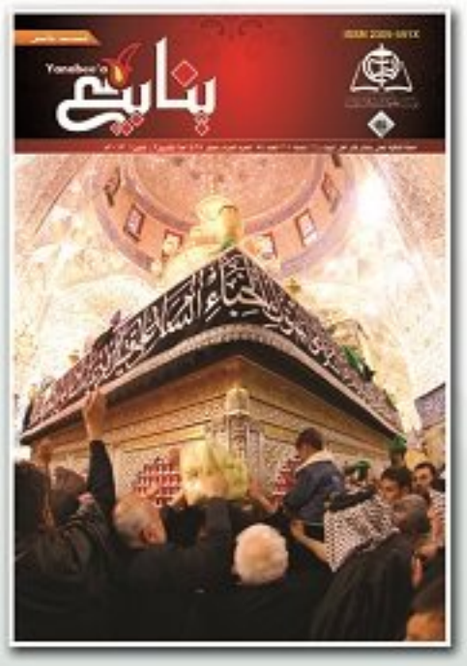

ينابيع ٥٤
Yanabee'a

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام

السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير

الحاج فلاح حسن العلي

مدير التحرير

حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص

ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني

وسام مسلم المظفر

باقر محمد الطريفي

التنضيد الإلكتروني

ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

تحقيق مصور:

علي وكربلاء وحديث القطارة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

مسجلة في المركز الدولي للمطبوعات برقم ISSN 2305-591X

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أُنشرت أم لم تنشر.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكا، وكانت الكارثة تغلبه حتى تمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، وكان يقول: (هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين).

(الأنوار النعمانية ج:٣ ص: ٢٣٨)

قصيدة:

عصف من رياح الحسين عليه السلام ..

محمد محمد الحاضري •
النجف الأشرف

تجهم ضوءُ الشمس واستحكم الرعبُ ... ووقْعُ خيولِ الموتِ يَستافُهُ الجدبُ
وتغريدةُ الصحراءِ في شفةِ اللظى ... ضجيجٌ يَعُبُّ الريحَ تَرجيعهُ رَحْبُ
وأنفاسُكَ الزهراءُ يا سيدَ الهُدى ... رياحٌ وجناتٌ يَجودُ بها الحُبُّ
أم المجدُ مِن أشياء رحلتِكَ التي ... يَحِنُّ عليها بل لها البُعْدُ و القُربُ
و خُبثُ ابنِ حربٍ للبُغاةِ طريقةٌ ... عليها مضوا و استأنفَ اللوعةَ الكربُ

* * *

بلا هَدْى أو نورٍ عَدوا واستَحَثَّهُم ... نَبيُّهُمُ قابيلُ كَفَّارَ إذ هَبُّوا
حسينيةٌ تلكَ الفِجاجُ بجوعِها ... على ظلهِ في الرملِ للثمِ تَنكَبُّ
ويَخَضَرُّ مِنها كُلُّ ما كان مَيِّتاً ... قُرونا و يَزهو في تَأَجُّجِهِ العُشْبُ
وكُلُّ مَضيقٍ يَصطفيهِ مَسيرُكم ... رحيبٌ نَدِيٌّ لا يُقاسُ بهِ دَرْبُ
وصَحْبُكَ يا مولاي حولكَ إخوةٌ ... السنا الأحمديِّ الفَذِّ أسلَسُهُم صَعْبُ

* * *

وعباسُـــكَ الكـــرارُ خَلْقَـــاً و خِلْقَةً ... أمامَكَ فـــي كفيكَ خافِقهُ الصَّـــبُّ
يَمينُـــكَ و البـــدرُ المنيـــرُ لزينـــبٍ ... وحارِسُـــها المأمونُ والصارِمُ العَضْبُ
وليثُ حريـــم اللهِ و الفالِـــقُ الذُّرى ... على أممِ الشـــيطانِ كالنارِ تَنْصَـــبُّ
قفـــوا حيثما شِـــئتُمُ فللمجـــدِ أهلُهُ ... وعبرَ دهـــورِ الأرضِ رَوعَتُهُ تَـــربُو
بِذِكْـــرِ ذبيـــحِ اللـــهِ يَتلـــو كتابَـــهُ ... عليهِم و زيفُ الإفـــكِ مُنْدَحِرَاً يَكْبو

* * *

فمـــا قَمَـــرٌ إلا لفاطـــمَ نُـــورُهُ ... ولا سُـــحُبٌ إلا لأدمُعِهـــا تَصبـــو
وكَفَّـــا أبي فضـــلِ الحســـينِ تُرتِّبُ ... النجومَ و زهوُ الخيرِ فـــي جُودِها يَحْبو
ولا بحـــرَ إلا مِن مواسِـــمِ بَســـطِها ... ولا نهـــرَ إلا مِنـــه وّهَّـــابَ يَنْصَبُّ
كفيلُ العطاشـــى،مُطعِمُ الصيفَ دِفئه ... مُنيلُ المنايا،كُلَّما عَـــرَّجَ الخَـــطْبُ
دَليـــلٌ وبـــوابُ الحســـينِ و دِرعُهُ ... وهارُونُـــهُ الراجي شَـــفَاعَتَهُ الذَّنْبُ

* * *

وبورِكْـــتَ يا نهـــرَ الفُراتِ بلمسِـــهِ مِياهَكَ و الأوباشُ مِن ذُعْرِهم هَـــبُّوا
إليهِ وقـــادَ الغَـــدرُ جُبنَ نفوسِـــهم شـــياطينَ والأحقـــادَ بدريَّةً شّـــبُّوا
تَدوسُ الخيولُ الأعرجيـــةُ صَدْرَ مَنْ؟ أعَرْشـــكَ يا اللهُ والمُرتَقى صَعْبُ ؟!!
وتَسْحَقُ مَنْ؟ تِلكَ الســـنابِكُ ويحها نبيَّـــكَ؟ أم تأويـــلَ آياتِـــهِ كَـــبُّوا؟
كأنـــي بالزهـــراءِ يَكْسِـــرُ ضلعَهـــا ويُســـقِطُ نورَ اللهِ من بَطنِهـــا الكَلْبُ

* * *

ويا بيتهـــا المبني من الحـــزنُ مالهم وأبنائها الأطهـــارِ تَرتِيلُهم عَـــذْبُ
يشـــم بُكاها شَـــرقُ لوعتهـــا الذي تَنَسَّـــمَهُ وانســـابَ في غَيبِـــهِ الغرب

* * *

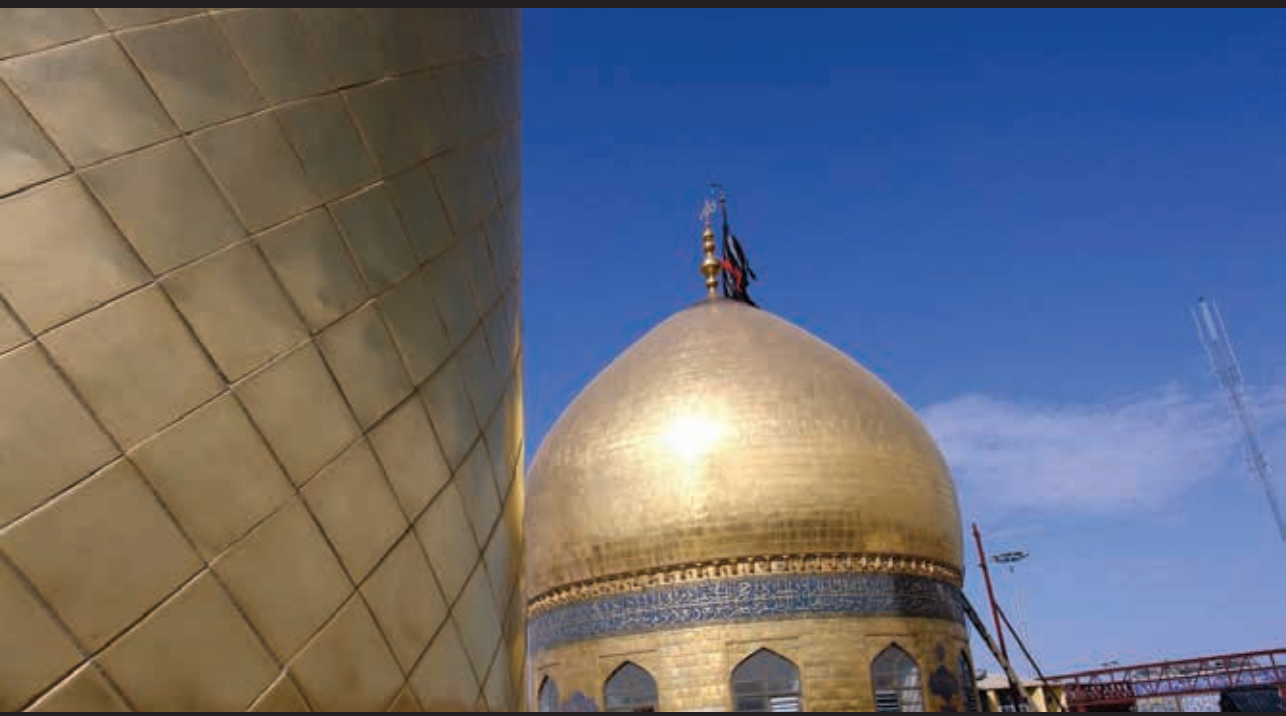

روايات في الطف

* عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن في النار لمنزلة لم يكن يستحقها أحد من الناس إلا قاتل الحسين بن علي ويحيى بن زكريا عليهما السلام) .

* عن أبي عبد الله عليه السلام، قال :
(إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه فيه مأجور).

* قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل له :
(..ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عز وجل، ولم يرض له بدون الجنة).

* عن علي بن الحسين عليهما السلام قال :
(من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة، بوأه الله بها في الجنة غرفًا يسكنها أحقابًا) .

* عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :
(من أنشد في الحسين عليه السلام شعرًا فبكى وأبكى عشرًا كتبت له الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى خمسًا كتبت له الجنة.
ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى واحدًا كتبت لهما الجنة ، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة) .

كامل الزيارات/ ابن قولويه القمي

مُحتَوياتُ العَدَد (عدد خاص)

ص ١٢

ص ٦٠

ص ٣٠

ص ٧٤

كلمة العدد

قتيل العبرة.. ما ذكره مؤمن الا استعبر

المشرف العام ١٠

العدد الخاص

قبس من المباني القرآنية لنهضة عاشوراء

د. محمد علي رضائي الأصفهاني..... ١٢

اسلوب التضحية في النهضة الحسينية

الدكتور حسن حميد فياض..... ٢٠

المأتم الحسيني في منهج الشيخ الأميني

كريم جهـاد الحسـاني..... ٢٦

رثاء أصحاب الحسين في شعر السيد صالح القزويني

أ.م.د. حسـين لفتـة حافـظ..... ٣٠

علي وكربلاء وحديث القطارة.. تحقيق مصور

حيـدر الجـد..... ٣٤

يصح الوجهان

ضيـاء حسـن ٤٢

قصيدة سفير الحسين

السيد عبد الأمير جمال الدين..... ٥٢

الشعائر الحسينية مدارس تغيير وإصلاح وبناء

الشيخ جميل مال الله الربيعي..... ٥٤

الحوراء زينب إعلامية النهضة الحسينية

سـعد حاتـم مـرزه..... ٦٠

نظرة حول اختراق نهضة مسلم بن عقيل

محمد جعفر القاضي..... ٦٤

سيرة راية

د. علي مجيد البديري..... ٦٦

إحصائيات عن النهضة الحسينية

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي... ٦٨

قصيدة صلاة الفجر

موفق السيد حمزة الماجد..... ٧٤

الإصلاح في مدرسة الإمام الحسين

الدكتور الشيخ وفقان الكعبي..... ٧٨

أثر القرآن في مراثي الشيخ صالح الكواز

د. علي كاظم المصلاوي..... ٨٤

النهضة الحسينية وبعض من آثارها

م. فارس عطية الحداد ٩٢

الشعائر الحسينية بين الواقع والطموح

د. نجم عبد الله الموسوي....٩٦

موعظة الإمام الحسين في يوم عاشوراء

حسين جودي كاظم الجبوري..١٠٠

الشذوذ النفسي في شخصية يزيد بن معاوية

عبد الواحد الشيخ محمود...١٠٦

أجوبة مسابقة العدد (٥٢) وأسماء الفائزين...١١٢

مسابقة العدد (٥٤) ١١٣

ص ٦٤

ص ٩٢

ص ١٠٠

ص ٦٨

قتيل العبرة..
ما ذكره مؤمن إلا استعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

حفلت النصوص الشريفة بالحث على البكاء على الحسين عليه السلام، والتظلم له، وذكر مصيبته والتأثر لها بما يناسب المأساة التي شاهدتها أرض الطف، والتي راح ضحيتها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة. وقد تضمنت النصوص الشريفة ما أعده الله عز وجل للباكي عليه والذاكر لمصيبته. ونحن على أعتاب شهر المحرم الحرام نخصص كلمتنا لإخواننا المؤمنين بذكر بعض الروايات التي تتضمن ذلك، إسهاماً منا في دعم القضية التي أكدها أئمة أهل البيت عليهم السلام وحثوا عليها.

ففي كامل الزيارات عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذىً مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار).

وفيه عن ابن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام فإنه فيه مأجور).

ومن أعظم ما ورد في هذا الشأن ما رواه مسمع بن عبد الملك المسمى بمسمع كردين قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي. قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يُعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه. فقال: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وإن الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه

حتى إنــه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشــتهي أن يصدر عنه. يا مســمع من شــرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ولم يستق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر. يخرج من تســنيم ويمر بأنهار الجنان، يجــري على رضراض الــدر والياقــوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم الســماء، يوجد ريحه من مســيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألــوان الجوهر، يفوح في وجه الشــارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً.

أما إنك يا كردين ممن تروى منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وســقيت منه من أحبنا، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشــهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر أميــر المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من يحطم بهــا أعداءنا، فيقول الرجــل منهم: إني أشهد الشــهادتين، فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: ارجع إلــى ورائك فقل للذي كنت تتــولاه وتقدمه علــى الخلق فاســأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشــفع لك، فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع. فيقول: إني أهلك عطشاً فيقول له: زادك الله ظمأ، وزادك الله عطشاً.

قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره، فقال: ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشــياء اجترى عليها غيره، وليــس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه، ولما قد شــغل نفســه به عــن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينــه النصب باتباع أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد.

وعن عبد الله بن بكيــر قال: حججت مع أبي عبــد الله عليه السلام ـ فــي حديث طويل ـ فقلــت: يا بن رســول الله لو نبش قبر الحسين بن علي عليهما السلام هل كان يصاب في قبره شــيء، فقال: (يــا بن بكير ما أعظم مسائلك، إن الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رســول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون، وإنه لَعَنْ يمين العرش متعلق به يقول: يا رب أنجز لــي ما وعدتني، وإنه لينظر إلــى زواره وإنه أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهــم بولده، وإنه لينظر إلى من يبكيه فيســتغفر له ويسأل أباه الاســتغفار له ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحــت أكثر مما حزنت، وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة).

وعن فضيل بن يســار، عن أبــي عبد الله عليه السلام قال: (من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر).

وعــن أبــي عبــد اللــه عليه السلام، قــال: (نظــر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحســين فقال: يا عبرة كل مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه، قال: نعم يا بني).

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (قال الحســين بن علي عليهما السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر).

وعــن ربعــي بــن عبــد اللــه، قــال: قلت لأبي عبد اللــه عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشــهداء؟ فقال: أليس أفضل الشــهداء عندكم! والذي نفسي بيده إن حوله أربعة آلاف ملك شــعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة.

وعــن هــارون بــن خارجــة، عــن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنا عنده فذكرنا الحسين عليه السلام فبكى أبو عبد الله عليه السلام وبكينا، قال: ثم رفع رأســه فقال: (قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى).

المشرف العام

قبس من المباني القرآنية لنهضة عاشوراء

د. محمد علي رضائي الأصفهاني •

ينابيع إذا تأملنا سلوك الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، وحلّلنا ما فيه من توجيهات، يتضح لنا أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء مبنية على تعاليم القرآن الأساسية المتينة، وأن معرفة هذه المباني تجعل من هذه النهضة قدوة لكل محبي القرآن. ذلك لأن هذه النهضة تبين الوظيفة القرآنية لكل المسلمين على مدى التاريخ.

وبعبارة أخرى، باستنباط المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، تتحول حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى حركة قرآنية، وتصبح قدوة لكل المسلمين.

وأما منابع استنباط المباني القرآنية لنهضة عاشوراء فهي: كلمات ورسائل وسلوك الإمام الحسين عليه السلام.

أهم مباني قيام عاشوراء:

أولاً: إعلاء كلمة الله تعالى:

نُقل أن الإمام الحسين عليه السلام أثناء مسيره إلى كربلاء، التقى بالفرزدق في منزل صفاح وتحدث معه، وبيّن أن هدفه النهائي من هذه النهضة هي إعلاء كلمة الله تعالى، وقال عليه السلام:

(وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا)[1].

هذا المطلب الذي جعله الإمام الحسين عليه السلام آكد مباني نهضة عاشوراء، يستند إلى آية قرآنية حيث يقول الله تعالى: (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا)(التوبة:٤٠).

ثانياً: نصرة الدين وإعزاز شريعة الله تعالى.

مر علينا قول الإمام الحسين عليه السلام للفرزدق في أرض صفاح: (وأنا أولى

من قام...).

كلمة الإمام الحسين عليه السلام هذه، والتي تبين أهم أصل (آكد) مباني نهضة عاشوراء، مرتكزة، إلى آيات قرآنية متعددة، بل إن روح القرآن الكريم بشكل كلي، تدعو إلى نصرة دين الله، أي دين الإسلام.

قال تعالى: (...حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) (الأنفال: ٧٢).

وقال تعالى: (...وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ)(البقرة: ١٩٣).

نعم لقد نصر الإمام الحسين عليه السلام دين الله سبحانه، كما تحقق هدفه في عزة دين الإسلام، وبعد أربعة عشر قرناً، لا تزال نهضة عاشوراء حية، ولا تزال قدوة لكل أهل العالم، ولكن أعداء الحسين عليه السلام اندحروا واندثروا في غياهب الزمن.

ثالثاً: الجهاد لحفظ الإسلام

ومن ضمن كلام الإمام الحسين عليه السلام أنه لما لاقى الفرزدق في مسيره إلى كربلاء قال: (يا فَرَزْدَقُ! إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمانِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسادَ فِي الأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَشَرِبُوا الْخُمُورَ، وَاسْتَأْثَرُوا في أَمْوالِ الْفُقَراءِ وَالْمَساكِينَ، وَأَنا أَوْلى مَنْ قامَ بِنُصْرَةِ دينِ اللّهِ...)[٢].

كلمة الحسين عليه السلام هنا، تشير إلى الفساد الاجتماعي والسياسي

والاقتصادي الذي شمل المجتمع آنذاك. لقد كان أصل الإسلام في تلك الظروف عُرضة للخطر، ونتيجة لهذا، أصبح الجهاد واجباً في سبيل حفظ الإسلام، لأن حفظ الإسلام أهم الواجبات الإلهية، والجهاد أحد تعاليم القرآن الكريم، والتي أشير إليها في آيات كثيرة.

رابعاً: طلب الإصلاح

روي أن الإمام الحسين عليه السلام كتب وصية وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية في المدينة. وقد ذكر في هذه الوصية أهداف قيامه عليه السلام فجاء فيها:

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب)[٣].

كان أحد أهداف قيام الإمام الحسين عليه السلام، إصلاح الأمة الإسلامية، في كافة الأبعاد الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وطلب الإصلاح أحد أهداف الأنبياء والتي بينت في القرآن الكريم. جاء في القرآن الكريم على لسان شعيب عليه السلام: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ)(هود: ٨٨).

خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد عدّ الإمام الحسين عليه السلام، الأمر بالمعروف والنهي عن ا لمنكر أحد أهداف نهضته، ففي وصيته الآنفة الذكر: (...أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...).

الأمر بالمعروف حفظ لفضائل المجتمع، كما أن النهي عن المنكر وسيلة تنقية دائمة للمجتمع وتصفيته من الرذائل.

أكد القرآن هذين المبدأين مراراً، وعدهما واجباً شرعياً قال الله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤).

سادساً: الحفاظ على سنة النبي صلى الله عليه وآله

إن الإمام الحسين عليه السلام في وصيته المتقدمة الذكر، دعا الناس إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وعدّ ذلك أحد أهداف قيامه: (...وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب).

أو قوله: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلى كتاب اللّه وَسُنَّة نَبيِّه صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ السُنَّةَ قَدْ أُميتَتْ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحييَتْ)[٤].

إن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسيلة إرشاد المسلمين، إلى جانب القرآن الكريم، وكما أن كليات الدين أخذت من القرآن، فإن جزئيات الإسلام أيضاً أُخذت من السنة. فإن أقوال النبي صلى الله عليه وآله وأعماله تفسير للقرآن الكريم.

قال الله تعالى: (...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: ٤٤).

وبالأصل، فإن المسلمين ليس لهم حق في مخالفة أوامر النبي صلى الله عليه وآله، لأنهم مأمورون بالطاعة:

قال تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (التغابن: ١٢).

سابعاً ـ الهجرة

عزم حاكم المدينة على تنفيذ أوامر يزيد في قتل الحسين عليه السلام، فخرج عليه السلام

من المدينة ليلاً. ولما خطّطوا لقتله في مكة أيضاً، خرج منها وتوجه إلى العراق. وفي جوابه رجلاً سأله: ما الذي آخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله ﷺ؟

قال عليه السلام: (إنَّ بَني أُمَيَّةَ أَخَذُوا مالي فَصَبَرْتُ، وَشَتَمُوا عِرْضي فَصَبَرْتُ، وَطَلَبُوا دَمي فَهَرَبْتُ)[٥].

يستفاد من كلامه عليه السلام أن المؤمن عندما تتعرض روحه للخطر، لا يجوز له الصبر على ظلم الظالم وإن أقلّ ما ينبغي فعله هو الهجرة.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟) (النساء: ٩٧).

ثامناً: مواجهة الظلم

كان الحسين عليه السلام يذكر حديثاً عن النبي ﷺ في رسالته إلى رؤساء أهل الكوفة وفي خطابه لأصحابه وخطابه لجيش الحر. وكان يستدل بذلك الحديث النبوي ويطبقه على بني أمية. والحديث هكذا: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[٦].

هذا التوجيه النبوي الذي نظم الحسين عليه السلام على أساسه، قيامه في كربلاء، مأخوذ من القرآن الكريم الذي يقبّح الظلم ويستنكره في غير ما آية، ويعد الظلم سبباً لعذاب بعض الأمم، ويوجب العقاب على من مال إلى الظُلّام وركن إليهم.

قال الله تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنَ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) (هود:١١٣).

إن وظيفة كل مسلم وطبقًا لما جاء في القرآن أن يهبّ لمبارزة الفساد والظلم وهكذا فعل الحسين عليه السلام.

تاسعاً: الحرية والتحرر

قام الحسين عليه السلام ليحرّر الناس من

ظلم بني أمية واستبدادهم لكي لا يصابوا بالانحراف الفكري والأخلاقي.

طريقة الإمام الحسين عليه السلام هذه هي اتباع القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله. لأن تحرير الناس أحد أهداف رسالة النبي صلى الله عليه وآله التي ذكرها القرآن، فجعل رسالة النبي صلى الله عليه وآله فلٌ للقيود والأغلال عن أيدي الناس وأرجلهم وتخليصهم من العقائد الباطلة والأعمال الخرافية والظلم. قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الأعراف:١٥٧).

كما أن القرآن عدَّ رسالة موسى عليه السلام عند مقابلته فرعون، تحريراً للبشر من العبودية والذل ونجاةً لهم. انظر الآيات (طه:٤٧ و٨٠) و (الشعراء:١٧ و٢٢).

عاشراً: العزة ورفض الذل

أحد تعاليم قيام الإمام الحسين عليه السلام السياسية هي عدم الرضوخ للذل وهذه من الشعارات والرسائل العاشورائية المهمة التي كانت مثالاً يُحتذى وقدوةً لكل حر على مر التاريخ. (إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما) وقال عليه السلام: (موت في عز خير من حياة في ذل)[٧]. يعني أن الإمام الحسين عليه السلام قد غير نظرة الأحرار إلى الموت وأوضح أن الموت في العيش مع الظالم، وأن الحياة مخبوءة في الشهادة.

أحد عشر: وجوب قبول الإمام لطلب الناس إتمامًا للحجة عليهم.

تعدّدت الرسائل من أهل الكوفة وتتابعت رسلهم إلى الحسين عليه السلام أن لا أمير علينا ونريد أن نبايعك، وأرسل الحسين عليه السلام أيضاً مسلم بن عقيل ليمتحنهم، ويُنبئه عن أوضاعهم. ولما بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل، تمت الحجة على الإمام ووجب عليه التوجه إلى العراق. من هنا قال عليه السلام: (وَهذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرُسُلُهُمْ وَقَدْ وَجَبَ عَلَيَّ إِجابَتُهُمْ وَقامَ لَهُمُ الْعُذْرُ عَلَيّ عِنْدَ اللّهِ سُبْحانَهُ)[٨].

لقد أكد القرآن الكريم ضرورة الدليل والحجة وتكلم عن ذلك مراراً (انظر البقرة:١٥٠، الأنعام: ٤٣ و١٤٩، الشورى: ١٥) حتى إنه جعل سبب إرسال الرسل الإلهية، إتمام الحجة على الناس.

قال تعالى: (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(النساء: ١٦٥). نعم، عندما تتم الحجة يجب العمل طبقاً لما يلزمها، وعلى هذا الأساس قبل الحسين عليه السلام دعوة أهل الكوفة وبدأ بنهضة عاشوراء.

هوامش:

(١)[موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص٤٠٨ نقلاً عن مصادر متعددة].

(٢) نفس المصدر ص٤٠٨.

(٣) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩.

(٤) [موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص٣٨٣ نقلاً عن مصادر متعددة]

(٥) نفس المصدر ص٣٥٧.

(٦) تاريخ الطبري ٧ / ٣٠٠.

(٧) بحار الأنوار: ٤٤/ ١٩٢

(٨) معالي السبطين: ١/ ٢٤٦.

صورة من الطف

* خرج شـــاب، قُتِلَ أبوه في المعركة، وكانت أمـــه عنده ، فقالت: يا بني! اخرج فقاتل بين يدي ابن رســـول الله صلى الله عليه وآله حتى تقتل! فقال: أفعل. فخرج. فقال الإمام الحســـين عليه السلام: هذا شاب قتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه. فقال الشاب: أمي أمرتني يا بن رسول الله! فخرج وهو يقول:

أميـــري حســـين ونعـــم الأميـــر ... ســـرور فـــؤاد البشـــير النذيـــر
علـــي وفـــاطـــمة والـــداه ... فهـــل تعلمـــون لـــه مـــن نظير؟

* * *

ثم قاتل فقتل، وحز رأســـه ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أمه رأســـه وقالت له: أحســـنت ، يا بني! ويا قرة عيني، وسرور قلبي، ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمة وحملت على القوم وهي تقول:

أنا عجـــوز فـــي النســـاء ضعيفة ... بـــالية خاويـــة نـــحيفة
أضربكـــم بضربـــة عنيفـــة ... دون بنـــي فاطمـــة الشـــريفة

فضربت رجلين فقتلتهما! فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها.

بحار الأنوار ج٤٥ ص٢٧

* * *

قالوا في الحسين عليه السلام

* (إن مأساة مصرع الحسين بن علي تشكل أساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة).

العالم الإنثروبولوجي الأمريكي كارلتون كون
كتاب القافلة.. أو قصة الشرق الأوسط

* (إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي).

الباحث الإنكليزي جون أشر
كتاب الرحلة إلى كلدة وسوسيان

* (قام بين الحسين بن علي والغاصب الأموي نزاع دام، وقد زودت ساحة كربلاء تاريخ الإسلام بعدد من الشهداء..اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهراً عاطفيًا).

المستشرق الهنغاري أجناتس غولدتسيهر
كتاب رحلة إلى العراق

* (لم يتردد الشمر لحظة في الإشارة بقتل حفيد الرسول حين أحجم غيره عن هذا الجرم الشنيع.. وإن كانوا مثله في الكفر).

المستشرق الهولندي رينهارت دوزي
كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام

* (بالرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإن لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت عليهم السلام).

المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن
كتاب نهضة الدولة العربية

* (دلَّت صفوف الزوار التي تدخل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما تزال تؤججها في العاشر من المحرم في العالم الإسلامي بأسره، كل هذه المظاهر استمرت لتدل على أن الموت ينفع القديسين أكثر من أيام حياتهم مجتمعة).

المستشرق الإنكليزي د. ج. هوكارت
كتاب الجزيرة العربية

* (لقد أصبحت كربلاء مسرحاً للمأساة الأليمة التي أسفرت عن مصرع الحسين) .

الباحثة الإنكليزية جرترود بل
كتاب من أموراث إلى أموراث

* (إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا).

الكاتب المؤرخ الإنكليزي السيد برسي سايكس
كتاب (تاريخ إيران)

* (حقاً إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد).

المستشرق الإنجليزي السير برسي سايكوس
كتاب (تاريخ إيران)

* (إن واقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثَّرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين، تأثيراً لم تبلغه أية شخصية مسلمة أخرى).

المستشرق الأمريكي غوستاف غرونيبام
في كتابه (حضارة الإسلام)

أسلوب التضحية في النهضة الحسينية

الدكتور حسن حميد فياض •
كلية التربية الأساس/ جامعة الكوفة

الدعوة إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تتوقف على تولي الحكم ومسك زمام الأمور، وإن كان ذلك من أقوم سبلها، لما للحاكم من سلطة تسيير الأمور ونشر الأحكام وإقامة الحدود، بل تتنوع أساليبها وتتعدد مستوياتها، وهي على أي نحو كانت لا بد أن تترك أثرًا صغيرًا كان أو كبيرًا يقتبس منه من يشاء ويغفله من أغفل الله قلبه عن ذكره، قال الله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف:٢٨).

ولا ريب في أن إصلاحًا ينشده الحسين عليه السلام لأمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله ينبغي أن يكون بأسلوب خاص ومستوى فريد، أسلوب يوقظ الأمة من سبات عميق جرها إليه حكام الجور ودعاة السوء، ومستوى فريد عزيز على التكرار ليبقى وحده مثالا تتخذه الأحرار شعارًا لها، ومنهجًا في سلوكها وقيامها.

لقد اختار الإمام الحسين عليه السلام التضحية أسلوبًا له في حركته الإصلاحية الكبرى، إلا أن تضحيته عليه السلام كانت من طراز فريد لم يعهد من قبل مثيلًا لها في تاريخ الإنسانية.

لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما عنده لله، صحبه وأهل بيته ونفسه وعياله، وليس من صورة تلح على الذاكرة في حضورها مثل صورة الطفل الرضيع الذي رفرف بيديه مستقبلًا سقيا الموت التي أرسلها عديمو الضمائر إليه، وليصدح بعدها الحسين عليه السلام بقوله: (هَوَنَ ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى)[1].

إن هذا الأسلوب من التضحية لم يكن ليتحقق أولًا، ولا لتتحقق به غاياتها ثانيًا لولا إيمان المضحين بأنه هو الخيار الوحيد الذي لا بد من سلوكه للوصول إلى المبتغى، وما كان هذا الإيمان بالتضحية محض صدفة، ولا موقفاً ألجأهم إليه القدر، وإنما كان إعداداً رسالياً، ومنهجاً تربوياً بدأه رسول الله صلى الله عليه وآله منذ ولادة الحسين عليه السلام، ثم عمقه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الصفوة من أصحابه، وأحاطه الإمام الحسن عليه السلام بعنايته، لتستكمل حلقاته على يدي سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

ويرتكز أسلوب التضحية في النهضة الحسينية على ركائز، أهمها: المعرفة، وذكر الموت.

المعرفة:

بيّن الله – جلّ شأنه – في محكم كتابه أهمية المعرفة في آيات كثيرة؛ لما لها من أثر في بناء الإنسان بناءً نفسيًا صالحًا يهيئه للوصول إلى ساحة الحق – سبحانه – لينعم برضوانه، يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:٣٠)، فالإيمان بالله سبحانه والاستقامة على ما أمر، جوهر المعرفة، وقد مدح الله سبحانه ثلة من عباده لبحثهم عنه وتفكرهم في آثاره وصولا إلى الإيمان به إيمانًا لا يشوبه شك، قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران ١٩١-١٩٥).

ولأهمية هذه الآيات في الدعوة إلى التدبر والتفكر الموصلين إلى المعرفة الواضحة الجلية توعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله من قرأها ولم يتدبر فيها بقوله: (ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها)[٢].

وورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن المعرفة أول الدين، وهي أفضل ما يتوسل به من العبادات إلى الله، فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (أول الدين معرفته)[٣]، وعن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه لمعاوية بن وهب حين سأله عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم قال: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة)[٤].

وفي غياب المعرفة أو ترددها في متاهات الشك تصبح أعمال

الإنسان لا قيمة لها، فقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الخوارج يتهجد ويقرأ فقال عليه السلام: (نوم على يقين خير من صلاة في شك)[٥]، فإذا كانت الصلاة التي هي عمود الدين لا نفع فيها عند الشك فما بالك ببقية الأعمال، ويقينًا أن الشك الذي قصده الإمام في قوله ليس هو الشك في وجود الله – سبحانه -؛ إذ لا معنى للصلاة مع الشك بوجود الخالق، وإنما هو الشك بما أمر به الله من معرفة أوليائه واتباعهم؛ وهو ما عبر عنه الإمام الرضا عليه السلام بأنه من شروط الإيمان بالله[٦].

لقد بدأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منهج الإعداد الروحي لنهضة الحسين عليه السلام حين ركز في أذهان الأمة مكانة الحسين عليه السلام فيها، وأنه إمام مفترض الطاعة في أحاديث كثيرة لا تدع مجالاً للتردد أو الشك في معرفة منزلته من الله - سبحانه -، نذكر بعضًا منها:

- (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا)[٧].

- (أنا سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، والأئمة بعدهما سادات المتقين، ولينا ولي الله، وعدونا عدو الله، وطاعتنا طاعة الله، ومعصيتنا معصية الله)[٨].

- (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)[٩].

- (أيها الناس هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه، وفضلوه كما فضله الله عزّ وجلّ)[١٠].

- (إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[١١].

وغيرها الكثير الكثير وهي بمجملها تدل على منزلة خصيصة للحسين عليه السلام من الله سبحانه ومن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وتدعو إلى اتباعه والسير على هداه، وتندب بل توجب محبته، ولا تصح المحبة من غير اتباع، والله سبحانه يقول: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران ٣١)، بل إن الحب هو الدين كما يقول الإمام الصادق عليه السلام[١٢].

وعلى نحو هذا سار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان فضل الإمام الحسين عليه السلام ومكانته في الدين، والمحافظة عليه وحياطته مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام من الاشتراك في عمليات الحروب فقال عليه السلام: (املكوا عني هذين الفتيين أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله)[١٣]، فركز في الأذهان أنهما امتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله. وقد أكد هذه الحقيقة في المحافظة عليهما محمد بن الحنفية حينما حاول بعضهم إيغال صدره على أخويه الحسنين عليه السلام بتقديم أبيه إياه للحرب دونهما، فقال: (أنا وَلَدُه وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله ليعطي مثالاً حيًا بمعرفة منزلتهما، والإيمان بمكانتهما من الله ورسوله.

وعلى هذا النحو من تثبيت المعرفة وبيان الحق سار الإمام الحسن عليه السلام في خُطَبِه وكلامه وحجاجه مع معاوية وغيره، لينتهي الأمر إلى الإمام الحسين عليه السلام فيعلن في خطابه لما عزم على الخروج إلى العراق: (رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين)[١٤]، فلا مجال بعدُ للشك في أحقيته عليه السلام في دعوته، ونصرته في ثورته.

إن هذا الإعداد المعرفي للصفوة ممن نصر الحسين عليه السلام هو الذي أهّلهم لبذل كل

ما يقدرون عليه في نصرة الحسين عليه السلام التي هي نصرة لله سبحانه، كما أن عمق هذه المعرفة في نفوسهم واطمئنانهم بها هو الذي قادهم إلى الثبات يوم الطف والإقدام على الموت ببصيرة نافذة أذهلت أعداءهم حتى نادى مناديهم (يا حمقى أتدرون من تقاتلون ؟ فرسان المصر قومًا مستميتين)[١٥].

ذكر الموت:

إن ذكر الموت معناه الإيمان باليوم الآخر إيمانًا عميقًا يستحيل فيه الغيب إلى شهادة، والمستقبل إلى حاضر، ولا يقتصر ذلك على معرفة أن كل إنسان يموت، لأنه أمر لا يحتاج إلى دليل، وكل من تسأله يجيبك دون تروي أنه سيموت في آخر المطاف، لأن هذا النوع من الذكر لا يثمر تربية روحية تزكي النفس، ولا يدفع نحو الكمال، وإنما ينتهي عند لقلقة اللسان.

إن ذكر الموت إيمانًا بما بعد الموت، واستعدادًا له، وقد مدح الله الذين يستعدون لما بعد الموت وللقاء الله في كتابه المجيد في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّه وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللّه أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّه يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(النور ٣٧-٣٨)، وذم آخرين لم يأخذوا أهبتهم للموت بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(يونس ٧-٨).

وقد حث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على تذكر الموت والاستعداد لما بعده في أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله وقد سئل: (هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: نعم، من يذكر الموت بين اليوم والليلة عشرين مرة)، وجوابه صلى الله عليه وآله عن سؤال آخر: (أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرًا، وأشدهم له استعدادًا)، وفي موضع آخر قال صلى الله عليه وآله: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[١٦].

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام

ينتظر أشقى الأمة ليخضب لحيته من دم رأسه، وكان يكرر كثيرًا (متى يُبعثُ أشقاها)[١٧]، وقد أخبر جمعا من خلص أصحابه بما سيؤول إليه أمرهم من التعذيب والقتل على أيدي عتاة الأمة، فكان جوابهم يُظهر إيمانًا راسخًا على نحو ما قال ميثم التمار حين أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بأن ابن زياد سيدعوه إلى البراءة منه: (أنا والله لا أبرأ منك، قال إذن والله يقتلك ويصلبك، قلت: أصبر فذاك في الله قليل)[١٨].

إن مثل هذا النوع من التضحية والفداء التي قبلها ميثم برحابة صدر لا تصدر إلا ممن أُعد إعدادًا خاصًا لمثل هذه المواقف.

لقد رسخ الإمام الحسين عليه السلام في أذهان أصحابه ذكر الموت والاستعداد له، وكرر عليهم ذلك ليصل إلى مستوى الاطمئنان على نحو ما كان عند ميثم التمار رضي الله عنه، فقد خطبهم قبل خروجه إلى العراق قائلا: (خُطَّ الموتُ على ولْد أدم مَخَطَّ القلادة على جيْد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوبَ إلى يوسف وخُيِّرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه كأني بأوصالي يتقطعها عُسْلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشًا جوفا وأجربةً سغبا لامحيصَ عن يوم خُطَّ بالقلم).[١٩]

فإذا كان لا محيصَ عن الموت فليختر الإنسان الميتة التي تليق به، وهل أكرم من ميتة يكون ثمارها حفظ الإسلام وشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

لقد ربى الإمام الحسين عليه السلام أصحابه على لقيا الموت والاستعداد له، فكتب إلى بني هاشم حين عزم الخروج من الحجاز: (أما بعد، مَنْ لَحِقَ بي استُشهد ومَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغ الفَتْح، والسلام)[٢٠]، وأي حث على اختيار الموت أبلغ من هذه العبارة على وجازتها، فقد قطع أمل من له أمل بهذه الحياة، وَسَخَتْ نفسه للحاق بركب الحسين عليه السلام والاستشهاد معه.

وكان مما قال لأصحابه في موضع آخر: (مَنْ كان باذلًا فينا مهجته، ومُوَطِّنًا على لقاء الله نفسه فليرحل، فإني راحل مصبحًا إن شاءَ الله)[٢١]. إن قائد النهضة يرسم لأتباعه نهايتهم التي لا بد منها ليكونوا على بصيرة تامة بما هم مقدمون عليه، ولتسمح نفوسهم بمفارقة الدنيا والبحث عن الخلد في الجنان.

لقد كانت ثقافة المؤمنين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد أمير المؤمنين عليه السلام في خروجهم للجهاد، يعني الفوز بإحدى الحسنيين، النصر والغنائم أو الشهادة والفوز بالجنة، أما خروجهم هذا مع الإمام الحسين عليه السلام، فحسنى واحدة مؤكدة هي الفوز بالشهادة، ولا وجود لحسنى النصر والغنائم في ثقافة أصحاب الحسين عليه السلام.

إن مثل هذا النوع من التربية الروحية لا يثمر إلا أناسًا قادرين على تحمل المسؤولية بأصعب حالاتها، وأدق مواقفها، وأحرج ساعاتها، وهو ما رمى إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتبعه من بعده أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لحفظ الرسالة وحياطتها من مخططات الانحراف، فكان ثمار هذه التربية الروحية الفذة مواقف العز والشرف في طف كربلاء التي علّمت الإنسانية كيف تكون التضحية أسلوبًا ومنهجًا لحفظ

المبادئ والقيم السامية.

هوامش:

(١) اللهوف في قتلى الطفوف/السيد ابن طاووس ص٦٩.
(٢) الكشاف – الزمخشري ٤٨٧/١ ، مجمع البيان – الطبرسي ٤٧١/٢.
(٣) نهج البلاغة – تحقيق هاشم الميلاني ٦٠.
(٤) الكافي ٢٦٤/٣ ، دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي ١٣٣/١.
(٥) نهج البلاغة ٧٣٢.
(٦) عوالي اللآلي – ابن أبي جمهور الإحسائي ٩٤/٤.
(٧) شرح الأخبار ١١٢/٣ ، الإرشاد – الشيخ المفيد ١٢٧/٢.
(٨) الأمالي – الصدوق ٦٥٢.
(٩) روضة الواعظين – الفتال النيسابوري ١٥٦.
(١٠) مدينة المعاجز – السيد هاشم البحراني ٥٢/٤.
(١١) م.ن. ٥٢/٤.
(١٢) الخصال – الصدوق ٢١.
(١٣) بحار الأنوار ٩٩/٤٢.
(١٤) شرح الأخبار /القاضي النعمان المغربي ج٣ هامش ص١٤٦.
(١٥) مقتل الحسين/أبو مخنف الأزدي ص١٣٥.
(١٦) مستدرك الوسائل – الميرزا النوري ١٠٤/٢-١٠٦.
(١٧) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام- محمد بن سليمان الكوفي ٦٣/٢.
(١٨) بحار الأنوار ١٣٠/٤٢.
(١٩) مثير الأحزان – ابن نما الحلي ٢٩.
(٢٠) م.ن. ٢٧.
(٢١) م.ن. ٣٠.

المأتم الحسيني
في منهج الشيخ الأميني قدس سره

• **كريم جهاد الحساني**
مركز الأمير عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي
العراق ـ النجف الأشرف

ينابيع

إنّ الكتابة والحديث عن شخصية الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره ومنهجه في البحث له أهمية فائقة في فهم وتحصيل الوعي بتأريخ الأمة الإسلامية.

وقد كتب الباحثون في منهجية الشيخ الأميني فيما عُرف عنه بموسوعته الغدير الواسعة الآفاق، إلّا أنَّ الغريب أن يُكتب في منهجيته وفكره في الركب الحسيني والخاص بـ (المآتم) أو المجالس التي أقيمت حزناً على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام على مدى العصور، وما يقال في هذه العُجالة ما هو إلّا هو غيض من فيض ما أنتجته براعة شيخنا الأميني.

وقد حاول بعض المؤرخين ممّن ليس لهم دراية بالروايات ولا ينظرون إلى التراث الروائي نظرة صحيحة أن يُقلّلوا من أهمية تلك المآتم، واكتفوا بشواهد سطحية مع تأملات بعيدة عن البحث العلمي بالاعتماد على جهل الناس وعدم اطلاعهم، مما ساهم في المزيد من سوء الظن بأصول الاعتقاد بتلك المآتم وأهميتها التي تقام على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وبالتالي التقليل من تلك الفاجعة باعتبار أن تلك المآتم هي الإعلام الشيعي الذي امتد وانتشر من خلاله صوت هذه الطائفة في ربوع العالم.

ولأجل تسهيل هذا العمل من الدراسة العلمية لتلك المنهجية نود أن ننوه في البداية بأن ما جاء به قلم الكاتب لم يُقدّمه في كتابه الكبير (الغدير)، وإنما جاء به وأورده في كتابه الموسوم (سيرتنا وسنتنا) وهي مجموعة محاضرات ألقاها من ثمرات سفراته إلى سوريا.

وقد عمد الشيخ الأميني قدس سره في منهجيته

إلى تقسيم المآتم عبر العصور منذ ولادة الإمام الحسين عليه السلام وحتى استشهاده يوم العاشر من المحرم الحرام بالاعتماد على المنهج العلمي والتحقيقي الذي عُرف عنه بتتبعه أمهات المصادر ورجال الأسانيد، وأعطى لكل دور اسمًا خاصاً به وكان على أقسام:

الأول: مأتم الميلاد، وهو تسمية أطلقها على أول ساعة من ولادة الإمام الحسين عليه السلام، واعتبرها مأتماً، إشارة منه إلى الأحاديث التي وردت في ولادته وأنها كانت أقرب إلى المأتم منه إلى الفرح والسرور الذي دخل على البيت الهاشمي.

وأول هذه الأحاديث ما نقلته أسماء بنت عميس عند ولادة الحسين عليه السلام وأنها دفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ملفوفًا بخرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، ثم تعجبت أسماء بهذا الفعل فبادرت إلى سؤاله قائلةً: فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا، قالت: إنه ولد الساعة، قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي.

وبعد أن قام الشيخ الأميني بتخريج الحديث كما علمنا عن طريق كتب الجمهور كالخوارزمي والطبري وغيرهم، قال:(لعل هذا أول حفل تأبيني أقيم للحسين الطهر الشهيد في الإسلام المقدس بدار رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تسمع أذن الدنيا قبل هذا أن ينعقد لمولود غير وليد الزهراء الصديقة في بسيط الأرض مأتماً حين ولدته أمه بدلاً من حفل السرور والحبور والتباشير ولم يقرع قط سمعاً نبأ وليد ينعى به منذ استهلاله، حين قدم مستوى الوجود، بدلاً من نشيد التهاني).

ثم يُعرّج العلّامة رحمه الله ويُصرّح بأن هذا الوليد هو الوحيد في التاريخ الذي أهدى إلى أبيه تربة مذبحه منذ ولادته قائلاً: (لم ينبئ التاريخ من لدن آدم إلى الخاتم عن وليد يهدي إلى أبيه عوض هدايا الأفراح تربة مذبحه حتى يتمكن منه الحزن في أعماق قلبه، وحبه وفؤاده).

الثاني: مأتم الرضاعة، إشارة منه إلى حديث(*) أم الفضل بنت الحارث حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله طالبةً منه تفسير رؤياها التي رأتها في منامها بسقوط قطعة من جسد الرسول في حجرها! فأشار إليها رسول الإنسانية وبشرها بولادة الحسين عليه السلام من ولد فاطمة. ثم إنها تعجبت وتساءلت عن دموع رسول الله صلى الله عليه وآله عندما وضعه في حجره، فقال لها: أتاني جبرائيل عليه السلام فأخبرني أنّ أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بتربته من تربة حمراء.

هذا الحديث الذي أخرجه الشيخ الأميني قدس سره عن الحافظ الحاكم النيسابوري في مستدركه بسنده الصحيح لم يكتف بهذا الطريق وإنما أخرجه أيضاً عن الحافظ البيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم، ثم اتخذ من تكملة منهجيته أن قام بالتعرض إلى ترجمة رجال السند وتوثيقهم من كتب الجمهور.

الثالث: مأتم رأس السنة، ومنها وصف المصنف بأنها من الشعائر والعادات الجارية بعد سنيّها منذ القدم، وأنها أسستها الفكرة الصالحة لدى الأمم الغابرة وقد سجّلها التاريخ في مواسم اليهود والنصارى والعرب وأنها كانت إحياءً لذكرى عظمائهم وتخليدًا لاسمهم مما جعله دستورًا عمليًا ناجحًا للناشئة الجديدة وتجارب واختبارات تولد حنكة الشعب.

ثم قال:(فأحق يوم يبقى ذكره في التاريخ زاهراً غضاً طرياً دائماً أبد الدهر خالداً مدى الدنيا لأمة محمد صلى الله عليه وآله هو يوم الحسين بضعة رسول الله سيد الأنبياء).

بعدها يشير الكاتب إلى ما نقله الخوارزمي الحنفي واستحسانه وقبوله للرواية التي صرّح بها في كتابه (مقتل الإمام السبط الشهيد) في الجزء الأول، وذلك بعد مرور سنة كاملة على ولادته الشريفة وهبوط اثني عشر ملكاً على رسول الله صلى الله عليه وآله محمرةً وجوههم قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون: يا محمد سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل.. إلى أن يقول: ولما أتى على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبي صلى الله عليه وآله في سفر، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسأل عن ذلك فقال: هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين.

وهنا يقول الأميني:

(وربما يظن (وظن الألمعي يقين) أن تكرر المآتم التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله في بيوت أمهات المؤمنين كما تسمع حديثها بُعيد هذا إنما كان على حلول الأعوام والسنين إما نظراً إلى ميلاد الحسين، أو إلى يوم استشهد فيه، أو إلى هذا وذاك معاً).

ثم يتطرق إلى ذكر المآتم التي أقيمت في بيوت أمهات المؤمنين مع الإشارة إلى طرق السند ذاكراً ما يلي:

١ـ المآتم التي أقيمت في بيت السيدة أم سلمة أم المؤمنين وهي سبعة مآتم والروايات جُلّها بطرق وأسانيد وثّقها جمهور المسلمين.

٢ـ المآتم التي أقيمت في بيت عائشة وهي ثلاثة مآتم أقيمت بحضور رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ـ مأتم في بيت السيدة زينب بنت جحش.

وبعد أن تطرق الشيخ الأميني قدس سره إلى تكملة المأتم والتي كانت خاصة في

بيوت أمهات المؤمنين، استدرج ليكمل أن تلك المآتم أقيمت في دار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي أخرجه النسابة أبو الحسن العبيدلي العقيقي في كتابه (أخبار المدينة)، وأكده الشيخاني المدني في كتابه (الصراط السوي) والخوارزمي في مقتله.

ثم المآتم التي أقيمت في حشد من الصحابة معرّجاً على المأتم الذي أقيم في دار رسول الله صلى الله عليه وآله عن الطبري في ذخائر العقبى عن الإمام علي عليه السلام قال: دخلت على النبي وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرائيل عليه السلام قبلُ وحدثني: أنّ الحسين يقتل بشط فرات قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا. ثم قال الأميني: (يأتي في المأتم الآتي ما يُنبيءُ عن صحة هذا المأتم ويغنينا عن إسناده).

وفي نهاية رحلته قام الأميني قدس سره بوصف صور مأتم يوم عاشوراء، وكلّها ضم رجال سند صحيح الوثوق والإثبات، وأعلن في خاتمة مطافه عن مقولته التي تنم عن وعي مؤرخ صادق اللهجة قائلاً: (تستجد المآتم بتجدد الأجيال، وتبقى خالدة مع الأبد لا تبلى جدّتها، ولا تنسى بمر الدهور) إلى أن يقول: (والحزن بالحسين الشهيد دائم سرمد ما دامت الجوانح بحبه معمورة والأضلاع بولائه مغمورة).

هامش:

(*) يبدو أن هذا الحديث من موضوعات العباسيين، وذلك لسببين:

الأول: أن العباس وزوجه (أم الفضل) كانا في مكة وقت ولادة الحسين عليه السلام وأسلما بعد فتح مكة أو قبل ذلك بقليل كما هو ثابت.

الثاني: أن قثم بن العباس لم يدرك النبي (ص) وعليه فلا يمكن أن يكون في سن الحسين عليه السلام ليكون قد رضع معه.

وأما الصحيح فهو حديث (أم أيمن)، كما ورد في: (الأمالي/للشيخ الصدوق ص١٤٢ح١٤٤) وكذلك في (روضة الواعظين/للفتال النيسابوري ص١٥٤) وفي (المناقب/لابن شهراشوب ج٣ ص٢٢٦) وفي (البحار/للمجلسي ج٤٣ ص٢ ٤٢).

وهذا نص الحديث كما ورد في المصادر أعلاه:

حدثنا عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله، إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت، قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أم أيمن فجاءته، فقال لها: يا أم أيمن، لا أبكى الله عينيك، إن جيرانك أتوني وأخبروني أنك لم تزلي الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينيك، ما الذي أبكاك ؟

قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكى الليل أجمع. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فقصيها على رسول الله، فإن الله ورسوله أعلم. فقالت: تعظم عليّ أن أتكلم بها. فقال لها: إن الرؤيا ليست على ما تُرى، فقصيها على رسول الله.

قالت: رأيت في ليلتي هذه، كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين، فتربينه وتلينه، فيكون بعض أعضائي في بيتك. فلما ولدت فاطمة الحسين عليه السلام، فكان يوم السابع، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة وعق عنه، ثم هيأته أم أيمن ولفته في برد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أقبلت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: مرحبا بالحامل والمحمول، يا أم أيمن، هذا تأويل رؤياك.

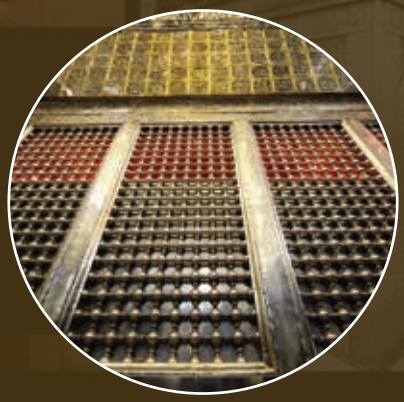

رثاء أصحاب الحسين عليه السلام في شعر السيد صالح القزويني رحمه الله

• **أ.م.د حسين لفتة حافظ**
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع لقد نَهل الكُتّاب وبمختلف أصنافهم من قَضيَّة الإمام الحُسين عليه السلام وأصحابه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف الأليمة الشيء الكثير، وقد اختلفت وتنوعت أشكال هذا النَّهل فمنهم من حوّله إلى خطبة حزينة مؤثرة، ومنهم من حوّله إلى مقالة أدبيّة، ومنهم من حوّله إلى قصيدة شعريّة خالدة بخلود شهادة الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام، وشاعرنا واحد من الشعراء الكبار الذين سخروا أدبهم في سبيل خدمة قضية الإمام عليه السلام لتتحول القصيدة عنده إلى بركان هائج يلطم به كل جبار عنيد لا يرى الحق حقًا،وهو يريد بذلك أن يوصل رسالته إلى كل أعداء الإمام عليه السلام الذين ناصبوه العداء، بأنّ قضيَّة الإمام الحسين عليه السلام خالدة، وحتى قيام الساعة وأن ذكره لن ينسى بتعاقب الأجيال، وشاعرنا هو السيد صالح بن مهدي بن حسن الحسيني القزويني الحلي النجفي المعروف بـ (القزويني)، كان السيد صالح عالماً، فاضلاً، جليلاً، مهيباً، جامعاً لكثير من الفضائل ومكارم الأخلاق، وكان ذا حافظة قوية[1].

ويعد السيد صالح القزويني مثال العلم والأدب وقرة عين العجم والعرب، ثاني أنجال العلامة معز الدين السيد المهدي، وأحد أركان النهضة العلمية والحركة الأدبية في الشطر الثاني من القرن الثالث عشر في الحلة وفي النجف، ترجم له كثير من الباحثين والمترجمين، وذكروا روائع من فضائله وفواضله وكرم أخلاقه وخلائقه. قال العلامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء في موسوعة (الحصون المنيعة): إنه كان مجازاً من والده ومن غيره من علماء

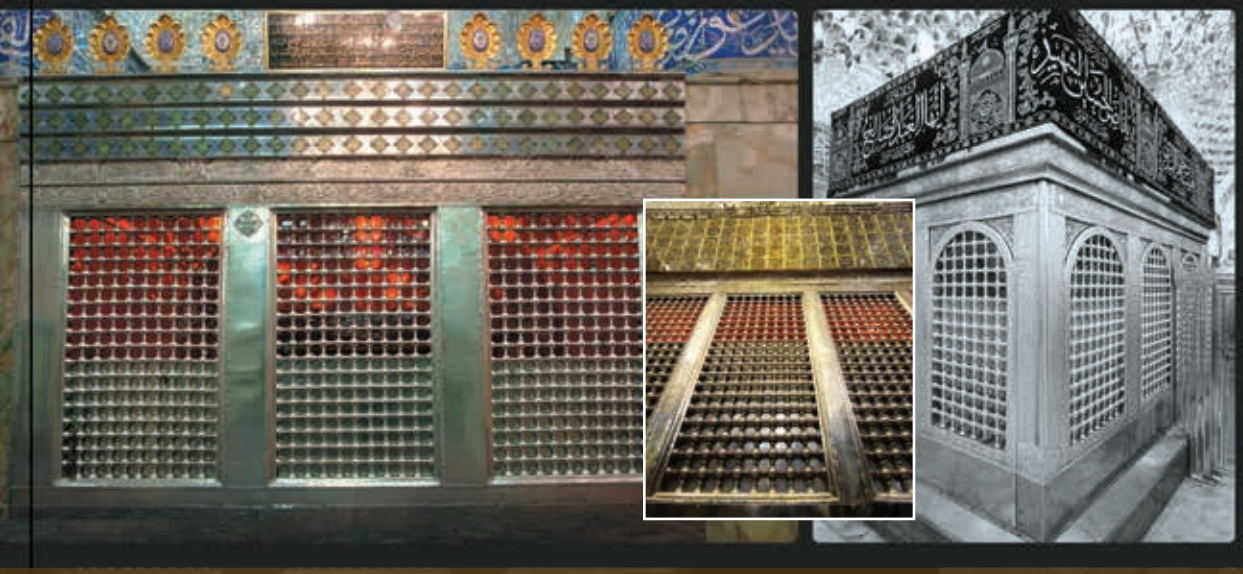

عصره، واستقل بالزعامة بعد أبيه وأخيه، وكان عالي الهمة كريم الطبع والأخلاق[٢].

ومن الأمور التي تذكرها كتب التراجم أن بيت المرزا صالح في طويريج يحفل بجمهرة كبرى من أهالي البلد وغيره في أيام المحرم الحرام من كل عام، مشاركة في إقامة المآتم بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وفي اليوم العاشر كان السيد صالح يمتطي صهوة جواده ويحاط بالأهالي ويركضون نحو ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كل عاشوراء[٣].

من آثاره العلميّة والأدبيّة:

خلّف السيد القزويني نتاجًا علميًّا مهما نذكر منه:رسالة في الفقه، وكتابه القيم مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام، فضلًا عن مجموعته الشعرية.

توفّي السيد صالح القزويني رحمه الله عام ١٣٠٣هـ، ودفن مع أبيه بمقبرة خاصّة في النجف الأشرف[٤].

أما القصيدة موضوع الدراسة فهي القصيدة الميمية وقد قالها السيد في رثاء أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وفيما يلي نص القصيدة:

أَيُقعِدُني عَن خُطَّةِ المجد لائمُ
قصيرُ الخُطى من أقعَدَتهُ اللوائمُ

سأَركَبُهَا مرهوبة سطواتها
تطير خوافيها بها وَالقَوادمُ

عَلَيَّ لَرُبع المَجد وقفة ماجد
تناشده منّي السيوف الصوارمُ

وأَبسَمَ مهما أبرقت بآكامه
ولا برق حزوى إن سَرَى وهو باسمُ

وارتاح إن هَبَّت بِهِ ريحُ زعزع
من الموت لا ما رَوَّحتهُ النَّسَائمُ

وزارت عراص الغاضرية ضَحوةً
وموج المنايا حَولها متلاطمُ

بيوم كظلِّ الرُّمح ما فيه للفتى
سوى السيف والرمح الرَّديني عاصمُ

ومدت به شمس النهار رُوَاقَها
فَحَجَّبَهَا ليلٌ من النَّقع قاتمُ

تراكم داجي النَّقع فيه فأشرقتَ
وجوه وأَحسَابٌ لهم وصوارمُ

أبا حسن يهنيك ما أصبحوا به
وإنْ كان للقتلى تُقَامُ المآتمُ

فيا خاطبَ العلياء والموت دونها
رُوَيدَكَ قد قَاوَمتَ مَن لا يُقَاومُ

بَخِلتَ عَليها بالحياة وإنّها
لأكرم من تُهدَى إليها الكرائمُ

إذا عَلِقَت نفسُ امرئٍ بوصَالها
ورامت مراماً دونَه حَامَ حائمُ

فخاطبها الهنـدي والمـوتُ عاقد
وعمـرك مَهـرٌ والنُّثـار الجماجمُ
لذاك سَـمَت نَحوَ المعالي نفوسُـنا
وهانت عليها القارعاتُ العَظَائـمُ
فَأَيُّ قبيـل مـا أُقيمَـت بربعـه
فإمَّـا عليـه أو علينـا المآتـمُ
سَلِ الطَّفَّ عن أهلي وإن كنت عالماً
فَكَم سـائل عن أَمـرِهِ وهو عَالِمُ[٥]

الأسـاليب الفنيّة في ميمية السيد صالح القزويني:

قبـل ذكـر الأسـاليب الفنية نقـول إن الرثاء: أحد فنون الشـعر العربـي البارزة، بل إنـه يتصدرها من حيث صـدق التجربة وحـرارة التعبير ودقـة التصوير، ويحتفظ أدبنـا العربي بتراث ضخم من المراثي منذ الجاهلية إلى يومنا الحاضر.

ويلاحظ القـارئ لقصيدة رثاء السـيد صالـح القزويني أن الشـاعر بـدأ قصيدته بالاستفهام الاستنكاري في قوله:

أَيُقعِدُنـي عَـن خُطَـةِ المَجد لائم
ويبـدو أن الغايـة التي تقـف وراء هذا الاسـتعمال هي إحداث الصدمة وردة الفعل العنيفة فـي ذهن المتلقي عندما يسـمع أو يقـرأ القصيدة، فالمطلـع كان صادمًا وفيه اختـلاف عـن عادات شـعراء العـرب في المقدمات التي يكتبونها في شـعر الرثاء، التـي كانت تبدأ إما بالنـدب على الميت أو العـزاء أو التأبيـن مـن خلال بـكاء النفس وتعداد خصال المرثي، وما إلى ذلك.

توظيف الاستعارة:

استطاع شـاعرنا أن يخلق صورًا جميلة تمتاز بالطرافة من خلال توظيفه للاستعارة الفنية في قوله:

عَلَـيَّ لِرُبـع المَجـدِ وقفـة ماجـد
تناشـده منِّـي السـيوف الصـوارمُ

فالمعروف أن السـيوف لا تناشـد لأن صفة المناشـدة تنسـب إلى العاقل، أي إن الشـاعر اسـتعار هذه الصفة من الإنسـان ونسـبها إلى السـيوف الصوارم على سبيل الاستعارة.

توظيف التشبيه:

لا يخفـى علـى أي دارس قيمة التشـبيه الفنيـة وتأثيـره الإيجابي فـي المتلقي فهو يُقَرِّبُ الصورة ويزيدها وضوحًا وقد وظف السيد صالح التشبيه في قوله:

بيوم كظلِّ الرُّمـح ما فيـه للفتـى
سِوى السيف والرمح الرَّديني عاصمُ

لقد شبه الشاعر ذلك اليوم الذي وقعت فيه واقعة الطف، التي مثلت الخير أمام الشر المتمثل بزمر بني أُمية شـبهه بظل الرمح، ولا خيار فيه للفتى سوى القتال بشرف ونيل الشهادة، فقد شبه الشاعر اليوم - وهو زمن معنوي لا يمكن إدراكـه بالحواس الخمس - شـبهه بظل الرمح وهو مـادي يمكن إدراكه بالعين، ووجه الشـبه هو قصـر ذلك اليوم الذي وقعت فيه أحداث الطف، وقد سـجل فيه أنصار الإمام أروع صور البطولة والفداء على الرغم من قصره.

الصورة المجازية:

اسـتطاع الشـاعر أن يوظـف المجـاز بنوعيه المرسـل والعقلي في قصيدته، فهو يعـرف أن التعبير المجازي له جمالية خاصة تأتيه من قدرة الشـاعر على إيجاد علاقات جديدة بين الألفاظ الشـعرية، ومن ثم خلق صور جديدة، وهذا يدل على قدرة الشـاعر الفنية، جاء هذا في قوله:

فيا خاطـب العليـاء والموت دونها
رُوَيـدَكَ قد قَاوَمـتَ مَن لا يُقَاوِمُ

فالعلياء في قول الشاعر تشمل كل أنواع

الشـرف والكرامـة والعزة والمـروءة التي يتفاخر بها العربي الأصيل، وقد نسـبها إلى الإمام عليه السلام وأصحابه، فكأنه يريد القول إنهم كانوا ينشدون العلياء، لأن الخطبة في الأصل تكـون للمرأة وليس للعلياء، إلا أن الشـاعر بحسـه الفني نقل لنا هذه الصورة المؤثرة، وفي موضع آخر من قصيدته يقول الشاعر:

فخاطبها الهنـدي والمـوتُ عاقد
وعمـرك مَهـرٌ والنِّثَـار الجماجمُ

نلاحظ هنـا تزاحم الصـور الفنيّة في هذا البيت الشعري فقوله: (خاطبها الهندي) وهو إشـارة إلى السيوف الهنديّة لأنها أجود أنواع السـيوف، وفي قوله: (الموت عاقد) أي: إن المـوت في أقصى غايـات التأهب والاسـتعداد، والصـورة الثالثـة فـي قوله (عمرك مهر) فهل سمعت قبل هذا أن يكون العمـر مهرًا؟ وهل هنـاك أغلى من النفس ليقدمها مهـرًا؟، والصورة الرابعة في قوله (النثـار الجماجـم)، أي: إن ما ينثر في هذا العرس هـو الجماجـم، ويالها مـن صورة مؤثرة تدلل على الشجاعة والعزيمة والايمان بالقضيـة فهـو يريـد القـول: إن أصحاب الإمـام عليه السلام وصلوا إلـى مرحلة مـن اليقين القطعي الذي لا يقبل الشـك في أن قضيتهم قضيـة ربانيّة ترتبط بالإمام الحسـين عليه السلام، فإيمانهم مستمد من إيمان الإمام.

انتقاء الأسماء الدالّة:

حرص شـاعرنا على انتقاء أسماء معينة ترتبط بواقعة الطف دون غيرها، ومن هذه الأسماء (الغاضريّة)، ومن المعروف أن هذا الاسم يحمل معه دلالة كبيرة جدًا، لها تأثير في نفس محبي أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في الأثر عن الإمـام الباقر عليه السلام: (الغاضريّة هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران، وناجى نوحاً فيها، وهي أكرم أرض على الله ولولا ذلك ما استودع الله فيها أولياءه وأبناء نبيّه. فزوروا قبورنا بالغاضريّة)(٦).

وأخيرًا أقول: نجح الشـاعر في حسـن تخلصه في هذه القصيـدة، فكان ينتقل من صورة إلـى أخـرى دون أن يشـعر القارئ معه بوجـود فجوة في القصيدة، مسـتفيدًا مـن الرموز التراثية الدينيـة المهمة، ومنها شخصية الإمام علي عليه السلام في قوله:

أبا حسـنٍ يهنيـك ما أصـبحوا به
وإنْ كـان للقتلـى تُقَـامُ المآتـمُ

والشـاعر فـي اسـتعماله هـذا يعطي نموذجـاً واضحـاً فـي قدرته علـى الإفادة من التـراث، والقدرة علـى توظيفه وكيفية انسجامه مع الغرض.

الهوامش:

(١) ينظر أعيان الشيعة: ٧/ ٣٧٨ والطليعة من شعراء الشيعة، محمد السماوي: ١٠٤.
(٢) ينظـر: أدب الطـف: ٨/ ٣٦، ومعجم المؤلفين: ٥/ ١٣.
(٣) ينظر: مقدمة كتاب مقتـل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبـي طالب عليه السلام تأليـف المجتهد الكبير السـيد صالح القزويني تحقيق الدكتور جودت القزويني، بيروت، طبع ٢٠٠٦. ومستدرك دائرة المعارف الشـيعية للسيد حسـن الأمين ـ مقالة للدكتور جودت القزويني.
(٤) ينظر الذريعة: ٢٠ /١٠٣.
(٥) القصيدة في المجموعة الشـعرية: ١٢٢، و وأدب الطفّ: ٨ / ٣٤.
(٦) ينظر بحار الأنوار: ١٠١/١٠٨.

تحقيق مصور

علي عليه السلام وكربلاء وحديث القطارة

تحقيق: حيدر الجد •
تصوير: امير رحيم •

ينابيع

حتّم الموقع المتميز لكربلاء أن تكون محطة للمسافرين الذين يتنقلون في البوادي ويجوبون القفار، فمنذ العصور القديمة كانت كربلاء ملاذاً للرحل، يمرون بها فيستظلون بأشجارها ونخيلها، فقد تربعت على الفرات من جانب ومدت فضلاً منها في الصحراء من جانب آخر.

حدثنا التاريخ عن مرور الأنبياء بهذه الأرض الطاهرة، التي انتابهم فيها هَمٌّ وغَمٌّ فسألوا أمين الرسل جبرائيل عليه السلام عن سبب ذلك، فأجاب: هنا يقتل سبط نبي آخر الزمان فانفجرت أعينهم تفيض دمعاً لذلك المصاب.

وكان لكربلاء مع علي عليه السلام لقاء عتب ودموع رواه أصحاب الإمام علي عليه السلام ممن صحبه في واقعة صفّين، وإن لم يبينوا إن كان الإمام قاصداً المرور بكربلاء أصلاً أم إن مروره بها كان ضمن الطريق السالك بين الكوفة وصفّين؟

اليوم تبادر إلينا وجود مقام ضمن محافظة كربلاء المقدسة يسمى (مقام قطّارة الإمام علي عليه السلام)، فحملنا الشوق إلى ذلك المقام كي نشهد ونسجل حقيقة هذا المقام ليكن شاهداً حاضراً من شواهد التاريخ يوثق مرور الإمام علي بكربلاء.

أولاً: الإمام علي وكربلاء

١ـ عن هرثمة بن أبي مسلم قال: (غزونا مع علي بن أبي طالب بصفين، فلما انصرفنا

نزل كربلاء فصلى بها الغداة ثم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهاً لك آيتها التربة ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب)[1].

٢ـ عن عبد الله بن نجي عن أبيه: (أنه سافر مع علي-وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفّين نادى علي: صبراً أبا عبد الله بشط الفرات، صبراً أبا عبد الله بشط الفرات[2].

٣ـ عن جويرية بن مسهر: لما توجهنا مع أمير المؤمنين إلى صفّين، فبلغنا طفوف كربلاء، وقف ناحية من العسكر، ثم نظر

صورة تبين مقام القطارة الذي تحيط به المرتفعات من جهتين، وبجانبه
منحدر يوصل الزائر إلى باحة المقام

يميناً وشمالاً، واستعبر ثم قال: هنا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم فقيل له: يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع، قال: هذه كربلاء، يُقتل بها قوم يدخلون الجنة بغير حساب[٣].

٤ـ عن عبد الله بن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين في خروجه إلى صفّين، فلما نزلنا نينوى وهو شط الفرات قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع، فقلت له: ما أعرفه، يا أمير المؤمنين، فقال عليعليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال: فبكى طويلاً حتى أخضلت لحيته وهو يقول: أوه أوه مالي ولآل أبي سفيان، مالي ولآل حرب، حزب الشيطان، وأولياء الكفر، صبراً يا أبا عبد الله فلقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. والحديث طويل أخذنا منه غايتنا[٤].

من خلال النظر في الأحاديث المتقدمة نلاحظ ما يلي:

أ ـ الأحاديث: الثاني والثالث والرابع اتفق فيها الرواة على أن نزول الإمام بكربلاء كان خلال ذهابه إلى صفين لا رجوعه منها، أما الحديث الأول فقول الراوي: فلما انصرفنا نزل كربلاء تشعر بأن نزولهم كان عند المجيء من صفين.

ب ـ جاء في الأحاديث ذكر كربلاء وطفوف كربلاء ونينوى، وفيها إشارة إلى وقوف الإمامعليه السلام على شاطئ الفرات، فكربلاء الاسم الأعم أما نينوى والطفوف فقرى مطلة على نهر الفرات.

جـ ـ بما أن كربلاء تقع في طريق القاصد إلى صفين، فربما يكون أمير المؤمنينعليه السلام مرّ بها في ذهابه وإيابه، لذا جاء في الحديث الأول قول الراوي الذي كان ضمن جيش الإمامعليه السلام: (نزل بنا

كربلاء، فصلى الغداة).

ثانياً: الإمام علي والطريق إلى صفين

ما إن خرج الإمام علي عليه السلام من كربلاء وتوسط الصحراء حتى أدرك أصحابه العطش، فطلبوا الماء يميناً وشمالاً فلم يجدوه، فلاح لهم دير، فسار الإمام بجيشه نحو ذلك الدير، فنادوا من في الدير فأطل عليهم راهب فقال له آمير المؤمنين: هل قرب قائمك ماء؟ فقال: هيهات بينكم وبين الماء فرسخان وما بالقرب مني من الماء شيء، فلوى عليه السلام عنق بغلته نحو القبلة وأشار بيده إلى مكان قريب من الدير فقام كاشفو الأرض في هذا المكان فكشفوه بالمساحي، فظهرت صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين هاهنا صخرة لا تعمل بها المساحي فقال عليه السلام: إن هذه الصخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً واستصعبت عليهم، فلوى عليه السلام رجله عن سرجه حتى صار على الأرض وحسر عن ذراعيه ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحركها ثم قلعها بيده ورمى بها أذرعاً كثيرة، فلما أزالها عن مكانها وظهر لهم بياض الماء تبادروا إليه وشربوا منه فكان أعذب ماء وأبرده وأصفاه، فقال عليه السلام لهم: تزودا وارتووا ففعلوا ذلك ثم جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت وأمر أن يغطى أثرها بالتراب والراهب ينظر من فوق ديره فلما علم ما جرى نادى: أنزلوني أنزلوني، فأنزلوه فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأسلم على يديه وصحبه إلى صفين فاستشهد رحمه الله[٥].

وقد نظم هذه المعجزة السيد الحميري في قصيدته المذهبة فقال في بعض أبياتها[٦]:

ولقد سرى فيما يسير بليلة
بعد العشاء بكربلا في موكبِ
حتى أتى متبتلاً في قائم
ألقى قواعده بقاع مُجدبِ
فدنا فصاح فأشرف مائلاً
كالنسر فوق شظية من مرقب
هل قرب قائمك الذي بوأته
ماء يصاب فقال: ما من مشرب
إلا بغاية فرسخين ومن لنا
بالماء بين نقا وفي سبسب
فثنى الأعنة نحو وعث واجتلى
ملساء تبرق كاللجين المذهب

مما تقدم من قصة الراهب وأبيات السيد الحميري نستنتج ما يلي:

١ـ كان خروج الإمام علي من كربلاء بعد العشاء.

٢ـ إن المسافة بين المكان الذي وصله الإمام بجيشه بالقرب من دير الراهب وأقرب مصدر للماء تبلغ فرسخين تقريباً حسبما أبلغ بذلك الراهب.

٣ـ كان دير الراهب على جبل، فمعنى (أطل): (ظهر) من مكان مرتفع والشظية في قول الشاعر القطعة من الجبل والمرقب المكان العالي.

٤ـ هناك مصادر تقول إن هذه الكرامة جرت له عليه السلام بعد رجوعه من صفين، لأنه سلك طريقاً من جهة بابل عند ذهابه إلى صفين، والظاهر أن هناك خلط بين ذهابه إلى النهروان وذهابه إلى صفين، فالطريق إلى صفين من جهة كربلاء أقرب والله أعلم.

ثالثاً: زيارتنا لمقام القطارة

انطلقت بنا السيارة في يوم ٢٠١٣/٩/١٣ من النجف صوب كربلاء وما إن وصلنا مدخل المدينة حتى أخذ سائقنا جهة اليسار فسار بنا وسط صحراء لا تلاحظ

فيهـا سـوى سـيارات الحمـل والطريق المبلط الذي يصل كربلاء ببحيرة الرزازة وبعيـن التمر وشـفاثا وجديـدة عرعر، وبالأثنـاء واجهتنا أعلام حمـراء وطريق جانبي مبلط متفرع من الشـارع الرئيسي ولوحـة كبيرة تشـير إلى مقـام القطارة، سـرنا في ذلك الطريق الـذي يبلغ طوله حوالي ٢كم، وفي منتصفه بدأت السيارة تصعد شـيئاً فشـيئًا ثـم اسـتوت هنيهة لتنطلق في منحدر شديد الميل لأن موقع مقام القطارة يقع في سهل ويحاذيه مرتفع وهذه دلالة على ما أراده الشاعر الحميري في بيان إطلالة الراهب على جيش الإمام علي عليه السلام من ديره وكان على مرتفع.

ترجلنـا ونزلنـا من السـيارة بعد أن أوقفهـا سـائقنا في سـاحة أعـدت لهذا الغرض، فوجدنا المكان عبارة عن ورشة عمـل متنوعـة، وقادنا رجل مـن حماية المقام إلى الداخـل، حيث يواجه الداخل قاعة كبيرة مسـقوفة بسـقف كونكريتي، يبلغ طولها حوالـي ٥٠م وعرضها ١١،٥ م وارتفاعها حوالي ٨م، على يمين وشمال الداخـل للقاعـة نلاحـظ أساسـين من الكونكريت لمنارتين في طور التشـييد، كما لاحظنا وجود قبـة يجري العمل على إكمالها، تقع بالقرب من مدخل القاعة.

في نهايـة القاعـة توجهنـا نحو باب حديدي كبيـر مصبوغ باللـون الأخضر، كان مقفـلاً ثـم جـاء السـادن ففتحه لنا ودخلنـا فـإذا نحن فـي حجرة مكسـوة بالمرمـر الأخضر الفاخـر يقع في ركنها الشمالي شباك خشبي كبير يفصل مساحة مثلثة الشـكل تقريباً من الحجرة، وخلف الشـباك لاحظنـا صخرة منقـورة ممتدة من مرتفع جبلي يحيط بالمكان الموجود به المقـام بصورة قـوس خلفي يحتضن المقـام وتوابعـه، أمـا موضـع الصخرة

المدخـل الجديد للمقام بعد التوسـعة، وتظهر القاعـة الأمامية التي لازال العمل يجري فيها

القاعة الأمامية، تربط بين المقام والباحة الخارجية

المنقـورة فهو عبارة عن كهـف صغير، أرضيته عبـارة عن حوض ضحضـاح لا يرتفع فيه الماء أكثر من بضع سـنتيمترات ويوجد في وسـطه أنبـوب دائري بقطر ٢٠ سـم تقريبـاً مثبت في الأرض ومغـروز فيها بعمق متر تقريبًا وبداخله أنبوب ومضخة صغيرة تسـحب الماء المتجمع عبـر أنابيب وتصب في حـوض خارج المقام، وعادة ما يأخذ الزائرون هذا الماء لأجل التبرك والاستشفاء.

في أعلـى الكهف الصغير المتكون من نحت الصخـرة بروزات صخريـة، ومنها تنضح هذه

المياه على شكل قطرات، والتي تتجمع في الحوض الذي يقع تحتها، وهنا تكمن المعجزة حيث إن الأرض لا توجد فيها مياه وإن الآبار فيها لا يخرج منها الماء إلى بعد حفر لعمق ١٢م، فكيف تنضح هذه القطرات وتتجمع لتكوّنَ بركة صغيرة في هذا المكان، كان طعم الماء ممجوجاً، لمروره في تلك التراكيب الصخرية، التي اكتسب رائحتها، وعلى هذا الأساس فالصخرة التي رفعها الإمام علي عليه السلام، وخرجت تحتها عين ماء ثم أعاد عليه السلام تلك الصخرة إلى موضعها هي التي نحن بصدد الكلام عنها ولما أعاد عليه السلام الصخرة ضاعت معالمها والتبس أمرها حتى على أصحابه ولكن بعد فترة نجهلها، أبان الله تلك المعجزة حيث بدأ الماء ينفذ من الفتحات المسامية الموجودة على الصخرة، بصورة خفيفة جداً وعلى هيئة قطرات لذا سميت بالقطارة. ترتفع في الحجرة التي تحوي مقام القطارة قبة مغلفة بالمرايا المزخرفة الجميلة، يبلغ قطرها حوالي ٥،٤ م وارتفاعها ٦م.

رابعاً: تاريخ القطارة ومراحل الإعمار

حدثنا الحاج محسن هاشم النايف اليساري المتبرع والقائم على خدمة المقام قائلاً: لم يكن لهذا البناء أثر قبل سقوط النظام البائد، بل كانت هذه المنطقة عبارة عن دوحة خضراء فيها بضع شجيرات وهذه الصخرة التي تدفع قطرات من الماء بين لحظة وأخرى، لذا عرفت بالقطارة، وكان البدو الرحل الذين يجوبون البراري طلباً للمرعى والكلأ يعرفونها فيقصدونها ويتزودون بما يتجمع من مائها، فالمنطقة كما تلاحظ صحراء لا تتوفر فيها المياه بسهولة ويسر.

سألناه عن المسافة بين هذا المقام وكربلاء، فقال: تبلغ حوالي ٢٢كم عبر طريق حي النصر و٣٣ كم عبر منطقة الحر، وعن المسافة بين أقرب مصدر للماء وبين هذه المنطقة قال المتبرع بالخدمة قصي الكنعاني: إن أقرب مصدر نهري للماء هو نهر الحسينية ويبعد عن المقام حوالي ١٤ كم تقريباً، وقد أشرنا -حسب قول الراهب- إلى أن المسافة لأقرب مصدر ماء تبلغ فرسخين، وقد ينطبق ذلك على ما ذكرناه فالفرسخ الواحد يساوي ٦كم تقريباً مع الأخذ بنظر الاعتبار تغير مجرى الفرات خلال فترة ١٤٠٠ سنة، وهي الفاصلة بين يومنا هذا ورحلة الإمام إلى صفين تقريباً.

ويعود الكلام للحاج محسن فيقول: كنا في غاية الحذر والتحرز من النظام البائد الذي كان رجاله يأتون هذه المنطقة بين فترة وأخرى، وقد انتشر خبر هذه القطارة مما جعل المحبين وأتباع أهل البيت يتوافدون بصورة سرية إلى المكان يتبركون بماء القطارة، فكان مشروع إقامة مقام يليق بهذه المعجزة يراودنا ولكن السلطة كانت تطاردنا، بعد سقوط النظام بدأنا بالمشروع واعتماداً على تبرعات المؤمنين ببناء حجرة صغيرة كانت النواة للمشروع الأكبر الذي نحن بصدده الآن، هذا والزائرون يتوافدون بصورة متزايدة حتى تكتظ المنطقة بهم ويضيق المقام لكثرتهم.

في عام ٢٠١١ باشرنا وبجهود ذاتية وبما نستطيع أن نجمعه مما ندخره ومما يتبرع به الزائرون والخيّرون للتوسعة التي نحن الآن في مراحلها المتقدمة، هذا وأمانة المزارات تأتي لجانها لتقييم حاجة المقام الفعلية ولكن دون نتيجة تذكر، فلم يثبط عزمنا ذلك فقد واصلنا المشروع

قطارة الإمام علي عليه السلام، حيث يتجمع الماء المترشح من الصخور

بما نتمكن منه والله المستعان.

أما مجلس محافظة كربلاء وهيئة الإعمار في المحافظة فقد وفقهم الله ليشتركوا في مد شارع فرعي يصل إلى المقام، كما قاموا ببناء قاعتين إحداهما للرجال والأخرى للنساء، مع مجموعتين من الصحيات للرجال والنساء وكان للسيد يوسف الحبوبي الدور الفاعل في هذه المشاريع الخدمية الخيرية.

خامساً: هل للإمام علي عليه السلام معجزة أخرى مشابهة

لقد كرّم الله (جلّ وعلا) علياً عليه السلام منذ أن وطئت قدمه الأرض، حيث لامست ثرى الكعبة الطاهر ولم يشرك الجليل معه أحداً في هذه الكرامة.

ثمة كرامة أخرى مشابهة حصلت للإمام علي عليه السلام في طريق صفين، في مكان مختلف، حيث ذكر قتيبة بن الجهم: (لما دخل علي إلى بلاد صفين، مر بقرية يقال لها صندوداء فعبر عنها وعرّس بنا في أرض بلقع، فقال مالك الأشتر: نزلت بنا على غير ماء، فقال عليه السلام: إن الله يسقينا في هذا المكان ماءً أصفى من الياقوت، وأبرد من الثلج، فتعجبنا فوقف عليه السلام على أرض وقال يا مالك احتفر أنت وأصحابك، فاحتفرنا فإذا نحن بصخرة سوداء فيها حلقة عظيمة تلمع كاللجين فلم نستطع أن نزيلها فقال علي: (اللهم أسألك أن تمدني بحسن المعونة) ثم تكلم بكلام حسبناه سريانياً، ثم أخذها فرمى بها فظهر لنا ماء عذب طيب فشربنا وسقينا دوابنا، ثم رد الصخرة، وأمرنا أن نحثو التراب عليها، فلما سرنا غير بعيد قال من يعرف منكم موضع العين، فقلنا: كلنا فرجعنا فخفي علينا أشد الخفاء، فإذا نحن بصومعة راهب فدنونا منه فقلنا: هل عندك ماء؟ فسقانا ماءً مرّاً خشناً، فقنا له: لو شربت من الماء الذي سقانا منه

صاحبنا من عين ها هنا، فقال صاحبكم نبي فقلنا: وصي نبي، فانطلق معنا إلى علي عليه السلام فلما بصر به أمير المؤمنين قال شمعون، قال: نعم، هذا اسم سمتني به أمي ما اطلع عليه احد إلا الله ثم قال: ما اسم هذه العين، فقال عليه السلام: عين راحوما، من الجنة شرب منها ثلاثمائة نبي وثلاثمائة وصي وأنا آخر الوصيين شربت منها، فقال الراهب: هكذا وجدت في الكتب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأنك وصي محمد صلى الله عليه وآله ثم قال علي عليه السلام: والله لو أن رجلاً منا قام على جسر، ثم عرضت عليه هذه الأمة لحدثهم بأسمائهم وأنسابهم)[٧].

في النص نلاحظ ما يلي:

١ـ ليس هناك مجال في اتحاد الكرامتين أو الشك في حدوث إحداهما دون الأخرى، فالأولى حدثت بالقرب من كربلاء كما بينا، والثانية حصلت بالقرب من صفين، عند خروج جيش الإمام من صندوداء، وصندوداء قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار، خربت، وبها مشهد لعلي بن أبي طالب عليه السلام[٨]، ولعل هذا المشهد الذي أشارت له كتب التاريخ هو موضع الصخرة، ولكن لانعرف هل يقع اليوم في الأراضي العراقية أو في الأراضي السورية تحقيقاً.

٢ـ تشابه روايتي الكرامتين في السرد القصصي إلى حد بعيد ينبئ عن معجز أراد الإمام عليه السلام إظهاره لجيشه كي يكون بصيراً بأن الحق مع علي عليه السلام، وحتى إسلام الراهبين في كلا المكانين له مدلول على قول النبي الأكرم: (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه أينما دار).

وما يؤشر ويثبت ذلك وقوع كرامة ثالثة مشابهة عندما توجه عليه السلام للنهراون لمقاتلة المارقين، في منطقة براثا بجانب الكرخ من بغداد.

المصادر

(١) الصدوق، الأمالي، ص١٩٩.
(٢) ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص٣٣٣.
(٣) العلامة الحلي، كشف اليقين، ص٧٩.
(٤)ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ٥٥٢/٢.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٦٤/٤.
(٦) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٢٤/٢.
(٧) الصفار، بصائر الدرجات، ص٢٨٨.
(٨) أبن عبد الحي البغدادي، مراصد الإطلاع، ٣٤٥/٢.

شِعرٌ في الطف

أتغض يا بن العســـكري على القذا ... جـفنا ومـن عـــلياك جذ سنامها

عـجباً لـــحلمك كيف تبقى عصبة ... وتـــرتكم تـطأ الـــثرى أقـدامها

أتـراك تـنسى يـــوم جذت منكم ... فـــي الطف عرنين الفخار طغامها

يـــوم بـه كـــف القطيعة طاولت ... عـــلياءكم ولـها تـــطأطأ هـامها

وتـعاهدت فـي حـــفظ ذمة أحمد ... ســـادات أنصار الإله كـــرامها

حـــتى إذا ضربوا القباب وطرزت ... بـالسمر والـــبيض الرقاق خيامها

قـامت تـــحوط المحصنات كأنها ... أُسد وأخـــبية الـــنسا آجـــامها

فـأتت كـــتائب آل حـرب نحوها ... تـسعى وتـــطمع أن يـذل همامها

فاســـتوطأت ظهر الحمام تخوض في ... بـحر الـــوغى وقرينها صمصامها

قـــوم إذا عـبس الـــمنون تهللت ... تـلك الـــوجوه ولم تطش أحلامها

قوم إذا نكـــص الفوارس في الوغى ... ثـــبتوا كـأن مـــنى النفس حمامها

قـوم مـــعانقة الـــصوارم والـقنا ... ما بتين مشـــتبك الرمـــاح غرامها

الشيخ علي الجشي

* * *

يصح الوجهان

ضياء حسن •

عَظَّمَ اللهُ أجورَكم بشهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام

يرفض لغويون صحة هذه العبارة لاستعمال صيغة (فَعَّلَ) بمعنى (أفعَلَ) ويردُّ آخرون بأنه استخدام صحيح، لأنه من الثابت في لغة العرب مجيء (فَعَّلَ) بمعنى (أفعَلَ) نحو خَبَّرَ وأخبرَ، سمّى وأسمى، فرَّحَ وأفرحَ، وكقول (اللسان): (أضعفه وضعَّفَه: صيَّرَه ضعيفًا)، وكقول (التاج): (طمَّعتُ الرجلَ كأطمعتُه)، وقوله: (وصَّلَهُ إليه وأوصله ؛ أنهاه إليه وأبلغه إياه)، وفي مناقب آل ابن أبي طالب لابن شهراشوب (ج١/ص٤٠٢)، وروضة الواعظين للنيسابوري (ص ٥٧) قال أمير المؤمنين عليه السلام للمسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله: (عَظَّمَ اللّه أجورَكُم في نبيِّكُم)، وفي الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (ج١ / ص ٥٩): ولما توفي سلمان المحمدي رضي الله عنه قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أعظمَ اللّه أجورَكم في أخيكم سلمان).

وعليه يصح الوجهان في قولنا:

عَظَّمَ اللّه أجورَكم وأجورنا بشهادة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام.

أَعْظَمَ اللّه أجورَكم وأجورنا بشهادة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام.

* * *

يساقُ النواصبُ بأجمَعِهم إلى جهنم

يرفض بعض اللغويين هذا الاستخدام لمجيء لفظ التوكيد (أجمع) مسبوقًا بحرف الجر الباء.

وقد صحح الجوهري وابن منظور وغيرهما هذا اللفظ إذ يمكن القول:(أجمَعُهُم) على التوكيد، وكذلك: (بأجمَعِهم) على زيادة حرف الجر مع إفادة التوكيد، كما يكمن القول: (بأجمُعِهم) على أنه جمع على وزن (أفعُل)، ومفرده(جَمْع) مثل فَرْخ وأفرُخ.

لذلك تصح الوجوه في تعبيراتنا الثلاثة:

يساق النواصب أجمَعُهُم إلى جهنم.

يساق النواصب بأجمَعِهم إلى جهنم.

يساق النواصب بأجمُعِهم إلى جهنم.

مع الإشارة إلى فصاحة الأولى وصحة الثانية، أما الثالثة فهي من الفصيح المهمل.

* * *

بئسَ ما فعل الغادرون بمسلم بن عقيلرضي الله عنه

يخطئ بعضهم كتابة(بئس) منفصلة عن(ما)، لمخالفتها قاعدة إملائية تقضي بكتابة (بئس) متصلة بـ(ما) إذا لم تتصل بها الفاء أو اللام، فإذا اتصلت بإحداهما جاز فصلها عن (ما): (فبئس ما)،(لبئس ما).

ولكنَّ آخرين لهم رأي آخر، إذ يجيزون وصل (ما) بـ(بئس) أو فصلها عنها حسب النظرة إلى (ما). فإذا اعتبرت مركّبة مع (بئس) كتبت متصلة بها، لأنها أشبهت (ما) الكافة الداخلة على (إن) في (إنما)، ولذا قال الفراء: (بئسما) شيء واحد ركب كـ (حبذا) وقد كتبت متصلة.

وفي المصحف الشريف ثلاث آيات منها {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} البقرة/٠٩.

أما إذا اعتبرت (ما) موصولة أو نكرة بمعنى شيء فتكتب منفصلة عنها، وقد كتبت كذلك في ست آيات من القرآن منها: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} البقرة/٢٠١.

لذا يصح الوجهان في كتابتنا:

بئسما فعل الغادرون بمسلم بن عقيل عليه السلام.

بئس ما فعل الغادرون بمسلم بن عقيل عليه السلام.

* * *

نحت راهب نصراني أنموذجًا للرأس الشريف

الأنموذج: يستعمل (النموذج) لمثال الشيء يُعمل عليه، وقد يضيف بعضهم إليه الهمزة فيقولون (الأنموذج) فيجمعونه على نماذج وأنموذجات، ويعترض آخرون على (الأنموذج) محتجين بأن العرب لا تضيف الهمزة في التعريب لأن المعرب لايزاد فيه، فيرى الفيروز أبادي،وابن منظور: بأن الفصيح هو (نموذج)، أما (أنموذج) فهو لحن ولا يعتد به.

وفي اللسان: (النَمُوْذج مثال الشيء معرَّب (نَمُوْذَه بالفارسيَّة) ويقال الأُنْمُوْذَج أيضًا.. وقيل هو لحنٌ ولا يعتدُّ به..)، ويردُّ آخرون بأنهم عرَّبوا (هليله)، ثمر ينبت في الهند فجعلوه (هليلج) و(إهليلج)، و(رنده) فجعلوه (الأرندج)، وهو الجلد الأسود. وقد أسمى الزمخشري وهو من أئمة اللغة كتابًا له في النحو(الأنموذج)، كما أسمى به الحسن بن رشيق القيرواني المغربي كتابه في صناعة الأدب. وقال الثعالبي في (فقه اللغة): (ومحاسن أقواله وأفعاله أنموذجات من الجنة التي وعد المتقون) وقد صححته المعاجم.

لذا يصح الوجهان في قولنا:

نحتَ راهب نصراني نموذجًا للرأس الشريف.

نحتَ راهب نصراني أنموذجًا للرأس الشريف.

مع التنويه بفصاحة الأول.

* * *

لم يستطع يزيد أن يمحي ذكر أهل البيت عليهم السلام.

يعترض بعضُهم على مجيء الفعل (يَمْحي) بالياء، لأنه واويّ.

تقول: محوت الشيء محوًا إذا أذهبتَ أثره، فالشيء (ممحو) كما تقول: غزا العدو البلد، فالبلد مغزوٌّ، هذا هو المشهور، وقد اقتصر عليه أبو هلال العسكري صاحب (التلخيص) فقال: (محوتُ الكتابَ أمحوه مَحوًا، وأنا ماح، وهو ممحوٌّ).

لكن جاء عن العرب أيضًا، تقول:

(محوت الشيء، فهو ممحو، ومحيته، فهو ممحي) بتشديد الياء. ففي (الأفعال) لابن القوطية: (محا الله الذنوب يمحوها محوًا ومحيًا: غفرها، ومحوت الشيء والكتاب ومحيتهما أذهبت أثرهما). ونحو ذلك ما جاء في الصحاح.

وهناك العديد من الأفعال تتعاقبُ في عينِها أو لامها الواو والياء، وإن كان بعضها أفصح بالواو، وهذا لا يمنع استعماله بالياء، وقد وردت هذه الأفعال وغيرها في المزهر للسيوطي، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والتاج والمصباح وغيرها من المعاجم الحديثة كالوسيط والأساسي. وقد ورد الفعل في المعاجم: محاه يَمْحُوه ويَمْحاه من بابي (نَصَرَ) و(نَفَع)، كما ورد محاه يمحيه من باب (ضَرَبَ)، فالفعل واويّ يائيّ.

وتقول منه أيضًا: (انمحى) بوزن (انفعل)، ففي (الأساس): ومحوته فانمحى. وتقول: امَّحى الشيء بتشديد الميم. يقال (امتحى) بوزن (افتعل) أيضًا كما جاء في معجم العين، وفي المختار نقلًا عن السخاوي في (سفر السعادة) لكنها لغة ضعيفة عند العرب، وفي المخصص: يقال: امَّحى الكتاب، ولا يقال امتحى. فيقال: (امَّحى الكتاب) و(انمحى) و(محوته) و(محيته).

لذا يصح الوجهان في قولنا:

لم يستطع يزيد أن يمحي ذِكْرَ أهل البيت عليهم السلام.

لم يستطع يزيد أن يمحو ذِكْرَ أهل البيت عليهم السلام.

* * *

المصادر:

أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين/ أحمد مختار عمر/عالم الكتب – القاهرة ٢٠٠٦.

النحو والأساليب اللغوية المعاصرة / تأليف د. مزيد نعيم - د. شوقي المعري- د. محسن العبيد / منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٥.

معجم الصواب اللغوي - دليل المثقف العربي / د. أحمد مختار عمر- منشورات عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٨.

معجم الأخطاء الشائعة / محمد العدناني - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٣.

معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة / محمد العدناني - مكتبة لبنان - بيروت ٢٠٠٩.

معجم تصحيح لغة الإعلام / د. وليد النجار- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٧.

معجم تعدي الأفعال في اللغة العربية / أنطون قيقانو- دار الراتب الجامعية - بيروت ٢٠٠٥.

معجم أخطاء الكتّاب / صلاح الدين زعبلاوي- دار الثقافة والتراث - دمشق ٢٠٠٦.

معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية / محمد محمد حسن شراب- دار المأمون للتراث دمشق ١٩٩٠.

معجم تصحيح لغة الإعلام العربي/ أ.د. عبد الهادي بو طالب – النسخة الإلكترونية.

معجم اللغة العربية المعاصرة/ أحمد مختار وفريق عمل/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٨.

اللغة العربية بين الخطأ والصواب / أحمد طهطاوي - محمد البنا - مركز الإسكندرية للكتاب - إسكندرية ٢٠٠٨.

قل ولا تقل / د. مصطفى جواد - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق ٢٠٠١.

٢٠٠٠ خطأ شائع بين العامة والخاصة / د. فهد خليل زايد- دار النفائس - عمّان - ٢٠٠٦.

نحو إتقان الكتابة باللغة العربية / أ.د. مكي الحسني – النسخة الإلكترونية.

* * *

في الذاكرة ..

شهر المحرم الحرام

يعتبر شهر المحرم الحرام، بداية السنة الهجرية.

١ رأس السنة الهجرية.

٢ وصول ركب الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أرض كربلاء عام ٦١هـ.

٣ وصل عمر بن سعد بن أبي وقاص على رأس جيش الكوفة إلى أرض كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

٣ وفاة السيد محمد بن الحسين (الشريف الرضي) جامع خُطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه المعروف المُسمّى بـ(نهج البلاغة) عام ٤٠٦ هـ.

٩ حُوصر الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء عام ٦١ هـ.

١٠ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي المصطفى و ريحانته وسيد شباب أهل الجنّة في معركة الطف المروّعة غير المتكافئة، التي آلت إلى استشهاده وأهل بيته و أصحابه عليهم السلام، على يد المجرمين العتاة من بني أمية (عليهم لعائن الله)، و ذلك في عام ٦١ هـ.

١١ سار جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص بسبايا أهل بيت النبوة صلى الله عليه وآله و هم أُسارى مُرَبَّطين بالحبال من كربلاء إلى الكوفة.

١٥ فتح قلعة خيبر اليهودية على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤ هـ.

١٥ ولادة السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر(ابن طاووس) عام ٥٨٩ هجري.

١٧ ولادة الشيخ البهائي بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي في مدينة بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣ هـ.

١٧ نزول العذاب على جيش أبرهة (أصحاب الفيل) حينما أرادوا هدم الكعبة المشرفة فجعلهم الله (كعصف مأكول) ، وذلك في العام الذي ولد فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عام٥٣ قبل الهجرة.

١٨ تحوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة سنة ٢ هـ ..

٢٢ وفاة الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والشهير بالشيخ الطوسي ٤٦٠ هـ .

٢٥ استشهاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ودفن في البقيع بالمدينة المنورة عام ٩٥ هـ. .

٢٥ مقتل الخليفة العباسي الأمين في بغداد على يد أخيه المأمون عام ١٩٨ هـ.

٢٦ توفّي علي بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في سجن المنصور العباسي عام ١٤٦ هـ .

٢٨ سقوط الدولة العباسية ، على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو الذي دخل بغداد بعد محاصرتها فترة قصيرة، فأسر آخر خلفاء الدولة العباسية، المستعصم بالله ثم قتله مع أولاده، وبذلك انتهى الحكم العباسي عام ٦٥٦ هـ.

* * *

شهر صفر الخير

١ بداية حرب صفين عام ٣٦ هـ .

١ دخول قافلة عيال الحسين عليه السلام سبايا إلى الشام عام ٦١ هـ .

٢ شهادة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ .

٣ ولادة الإمام الباقر عليه السلام عام ٥٧ هـ .(على رواية).

٤ صلب زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ .

٧ استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٥٠ هـ .

٧ ولادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في الأبواء عام ١٢٨ هـ .

٨ وفاة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن عام ٣٥هـ .

٨ وفاة المرجع الأعلى السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره عام ١٤١٣هـ .

٩ استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧ هـ .

٩ حرب النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج عام ٣٨ هـ .

١٣ اختيار التحكيم في صفين عام ٣٧هـ .

١٤ استشهاد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحرق جثمانه بأمر عمرو بن العاص عام ٣٨هـ .

١٦ سقي السم للإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون العباس عام ٢٠٣هـ .

١٧ استشهاد الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ .

١٩ وصول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأصحابه إلى كربلاء عام ٦١هـ .

٢٠ أربعين الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع الرأس الشريف إلى الجسد الطاهر عام ٦١ هـ .

٢٤ اشتداد مرض النبي صلى الله عليه وآله عام ١١ هـ .

٢٥ طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وكتف ليكتب لهم كتابًا لن يضلوا بعده أبدًا وامتناع القوم من ذلك عام ١١هـ .

٢٦ أمر النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد عام ١١ هـ .

٢٦ طلب النبي صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام إحضار دواة وكتف لكتابة أسماء الأوصياء من بعده أولهم علي عليه السلام وآخرهم بقية الله الأعظم عليه السلام عام ١١ هـ .

٢٦ وفاة المرجع الكبير السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في ظروف غامضة عام ١٤١٤هـ.

٢٨ عروج روح النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى عام ١١ هـ .

٢٨ دفن النبي صلى الله عليه وآله في منتصف الليل عام ١١ هـ .

وقفة مع الذكرى

في السابع من شهر صفر عام ٥٠ للهجرة كان استشهاد الإمام أبي محمد الحسن السبط عليه السلام.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من سَرَّهُ أن ينظر إلى سيد شباب الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي)[١].

وعن زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقالت: (يا رسول الله، هذان إبناك فورثهما شيئًا).

فقال صلى الله عليه وآله: (أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتي)[٢].

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام[٣].

في ذكر سبب وفاته عليه السلام:

لم يهدأ بال معاوية في تدبير المكائد والدسائس للإمام الحسن عليه السلام للتخلص منه.. أخيرًا وجد ضالته في جعدة بنت الأشعث زوج الإمام فتحرك نحوها واتصل بها ابنه يزيد ووعدها بالزواج منها إن هي نفذت عملية الإغتيال بسم الإمام.

ففعلت، فلما مات الحسن عليه السلام بعثت إليه جعدة تسأله الوفاء بما وعدها[٤] فقال :إنا والله لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا؟

وكان الإمام الحسن بن علي عليهما السلام قد سقي السم مراراً كل ذلك يفلت منه حتى كان المرة الأخيرة التي مات فيها[٥].

عن زياد المحاربي قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى أخاه الحسين عليه السلام وقال له: (يا أخي إنني مفارقك ولاحق بربي، وقد سقيت السم ورميت بكبدي في

الطست، وإني لعارف بمن سقاني ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل، فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله تبارك وتعالى فيَّ، فإذا قضيت فغسلني وكفني، واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدد به عهدًا، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة فادفني هناك، وستعلم يا بن أم إن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في منعكم من ذلك، وبالله أقسم عليكم أن تهريق في أمري محجمة من دم).

ثم وصى إليه بأهله وولده وتركاته وما كان وصى أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه.

فلما مضى لسبيله وغسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على سريره، لم يشك مروان وبنو أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فتجمعوا ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين عليه السلام إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدد به عهدًا أقبلوا في جمعهم ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: نحوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن فيه ويهتك عليه حجابه[٦].

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال الحسين لها: (قديمًا أنت هتكتي حجاب رسول الله وأدخلت بيته من أبغضه، إن الله سائلك عن ذلك، إن أخي أمرني أن أقربه من رسول الله ليجدد به عهدًا) إلى آخر كلامه.

قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية فقال: يا عائشة يومًا على بغلٍ ويومًا على جملٍ فما تملكين نفسك عداوة لبني هاشم!

فقالت عائشة: نحوا ابنكم واذهبوا، فإنكم قوم خصمون.

فمضى الحسين بالحسن عليهما السلام إلى البقيع ودفنه هناك.[٧]

المصادر:

(١) كنز العمال/ المتقي الهندي ج١٢ص١١٦
(٢) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب ج٣ص١٦٥
(٣) مسند أحمد/ أحمد بن حنبل ج٣ص١٦٤
(٤) تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر ج١٣ص٢٨٤
(٥) ترجمة الإمام الحسن/ ابن عساكر ص٢٠٩
(٦) إرشاد المفيد ج٢ص١٧
(٧) الكافي/ للكليني ج١ص٢٤٠

نمـوذج من التربة الحسـينية محفوظ في أحـد المتاحف الأوربية
مأخوذة من المرقد المقدس خلال القرن التاسع عشر

شعرٌ في الطّف

أقـام روح وريحـان عـلى جدث ... ثـوى الحسيـن بـه ظمـآن آمينا
كأن أحشـاءنا مـن ذكـره أبـدًا ... تطوى على الجمر أو تحشـى السكاكينا
مهـلًا فـما نقضـوا أوتـار والده ... وإنـما نقضـوا في قتلـه الدينا

السري الرّفاء

❊ ❊ ❊

قصيدة:

سفير الحسين عليه السلام ..

السيد عبد الأمير جمال الدين

ضَمَّنـــي مِـــنْ ثَـــراكَ عِطـــرٌ وَطيبُ ... فيـــه تُشـــفى مِـــن الســـقام القُلـــوبُ
يا سَـــفير الحُسَـــين خَلفَـــكَ تَجري ... لُجَجُ الشَّـــمسِ والصّحـــارى تَلوبُ
وَسُـــكونُ القِفـــارِ يَرقَـــبُ عَينَيْـــكَ ... مَـــداراً مَـــسارُهُ مَـــحسوبُ
وَدَويُّ الرّحيـــلِ سَـــطوةُ مَجـــدٍ ... عَلَـــوي بهـــاؤهُ مَكتـــوبُ
كُلُّ دَربٍ يَمشـــي وَراءَكَ نَهـــرٌ ... فـــي الحَنايـــا زُلالُـــهُ مَســـكوبُ

* * *

حامـــلاً للنجـــوم سُـــهْدَ الوَصايـــا ... وَخُيـــولُ الوَغـــا ضِباحـــاً تَـــؤوبُ
ذلـــكَ المَســـجِدُ المـــؤرَّقُ ثـــاوٍ ... وَأســـى الكوفـــةِ العَميـــقُ مَهيـــبُ
وَالجَواســـيسُ إثْـــرَ ظِلِّـــك غَـــدْرٌ ... أمَـــويٌ بَريقُـــهُ مَكـــذوبُ
جِئْتَ في كَفِّكَ العُهودُ وَخـــانتْـــكَ ... قُلـــوبٌ للـــهِ لا تَسْـــتَجيبُ
وتواريك طَوْعةٌ تَشربُ المـــــاء ... وتُمســـــي عليكَ تهوي الخُطوبُ

* * *

تَتَعالـــى الخُطـــى وَينهَمِـــرُ البغيُّ ... وفي السّـــوقِ جِســـمُكَ المســـحُوبُ!
وَغدوتَ الشهيدَ مُفتَتَحَ الذّبـــــــحِ ... بَكَـــرْبٍ لَـــــهُ البَـــــلاءُ نَصيبُ
والدَّعيُّ المَأفونُ يَغْتَصِبُ الشّـــــوْطَ ... وَكـــــلٌّ عَلى الـــرَّدى مَصْلُـــوبُ
يا سَـــفيرَ السَّـــماءِ وابْتَـــدأَ الغَيْثُ ... دِمـــــاءً مِنهـــــا السَّـــــلامُ قريبُ
ذاكَ نَهـــرُ الفُـــراتِ شـــاهِدُ عَـــدْلٍ ... حَيـــثُ تاهـــوا وَدينُهُـــم مَقلُـــوبُ

* * *

وَكِتـــابُ الأقْـــدارِ دوَّنَ مَســـعاكَ ... غَريبـــاً شُـــعاعُهُ لا يَغيـــبُ
وَوَقـــارُ النَّخيـــلِ يَرْصُدُ أَعقـــابَ ... مُنـــادينَ وَعْـــدُهُـــم مَتْبـــوبُ
يا لِـــرُزْءٍ أبكـــى السَّـــماءَ وأَضْحى ... كُلُّ شِـــبرٍ فـــي الأرضِ وَجْـــداً يَذوبُ
مُسْـــلِمٌ مُســـلِمٌ وَحقِّـــكَ إنّـــي ... ثَمِـــلٌ فـــي هَـــواكَ، قَلْـــبٌ كَئيـــبُ
عاشِـــقٌ فيـــكَ للبُطولـــةِ سَـــيفاً ... طالِبيـــاً يَخافُـــهُ المَطْلـــوبُ
يـــا شَـــهيدَ الفِـــداءِ حُبُّـــكَ يَبْقى ... فـــي نُفـــوسٍ لَهـــا الوَفـــاءُ حَبيـــبُ

* * *

الشعائر الحسينية

مدارس تغيير وإصلاح وبناء

الشيخ جميل مال الله الربيعي •

ينابيع

(وَمَن يُعَظِّم شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ)(الحج: ٣٢)

الشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة الدالة على كل مَعْلم من معالم الدين له حرمة وقدسية من خلال ما نَدَبَ إليه الشرعُ المقدسُ، وأَمَرَ المسلمين بالقيام بها، وفي مجمع البيان: (قيل: شعائر الله: دين الله كله، وتعظيمها: التزامها)[1].

وعلى هذا المعنى أكد علماء التفسير، يقول السيد السبزواري رحمه الله: (الشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة تطلق: تارة: على معالم الحج ومشاعره، وهي أعلامه الظاهرة المعدة للنسك والعبادة، ومشاعر الله: كل ما يتعبد فيه لله عز وجل، وأخرى: على العبادة والنسك من صلاة، وصوم، ودعاء، وقراءة القرآن، وغير ذلك مما يصح أن تكون عبادة)[2].

إذن يمكن القول: إنَّ كل ما يدفع الإنسان إلى الالتزام بشرعة الله، والعمل على تطبيقها تعبداً لله، وامتثالاً لأمره ضمن النهج الشرعي الذي نص عليه الكتاب والسنة والعقل الإسلامي السليم مما يقرب الإنسان إلى الله، ويحببه إليه، ويخضعه لأوامره، فهو من شعائر الله.

أهمية الشعائر الحسينية:

بناء على ما تقدم من بيان لمعنى (شعائر الله) فإنَّ الشعائر الحسينية تكون أحد مصاديق شعائر الله التي يجب أن يعظمها المسلمون؛ وذلك لأنَّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بروح الإسلام، وجوهره، ومنه تستمد معينها، وعلى أساسه يقوم بناؤها، ولعلَّ هذا هو سر التأكيد المتواصل من قبل أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام في إحياء ذكرى أحداث الطف؛ فإنَّها مجالس ذكر لله تعالى، يقول الإمام الصادق عليه السلام

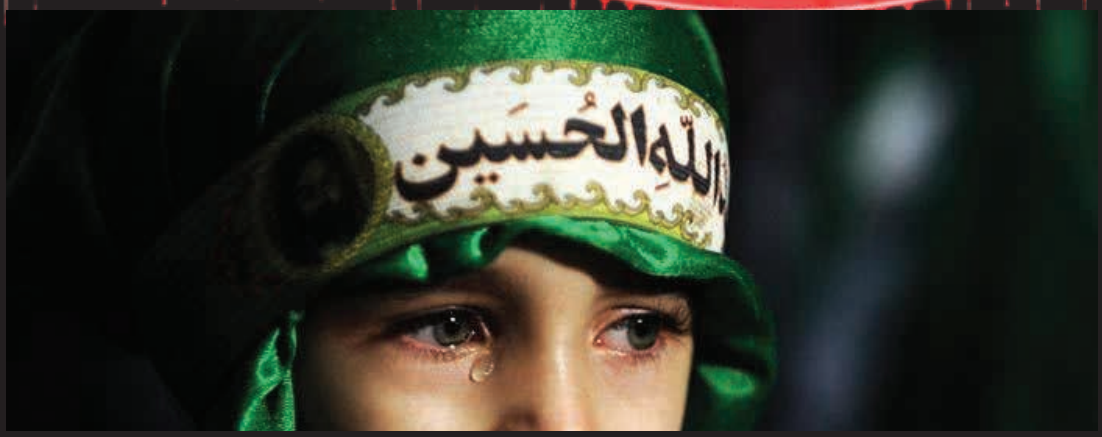

لداود بن سرحان: (يا داود، أبلغ موالي عني السلام، وأني أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإنَّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله (تعالى) بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنَّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا)[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار: (أتجلسون وتتحدثون ؟ قال: نعم. فقال عليه السلام: أما إني أحب تلك المجالس، فأحيوا أمرنا، فإن من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[٤].

وفي رواية أخرى: (إنَّ تلك المجالس أُحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا، أو ذُكِرْنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر)[٥].

وفي خبر بشير بن حذلم حين قال له الإمام زين العابدين عليه السلام: (يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه، فقال: بلى يا بن رسول الله، إني شاعر، فقال عليه السلام: أدخل المدينة وانعَ أبا عبد الله عليه السلام، قال بشير: فركبت فرسي، وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج
والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة، ولا محجبة إلا برزن من خدورهن.... يدعون بالويل والثبور فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم)[٦].

(وكان الإمام الباقر عليه السلام يحض المؤمنين على إقامة مجالس عزاء الحسين في (منى) أيام التشريق، حيث يجتمع المسلمون من أقطار الأرض؛ ليسمعهم مصيبة الحسين عليه السلام وفاجعة عاشوراء)[٧].

أقول لماذا هذا التأكيد من قبل أهل البيت عليهم السلام على إقامة مجالس عاشوراء

حتى رسخ في ضمير الأمة، ووجدانها، وتحول إلى شعار خالد من شعائرها التي لا تنفك عنه طيلة أيام السنة، وعلى مختلف المستويات الاجتماعية والعلمية، وتحملوا من أجل إقامته شتى صنوف الاضطهاد والمطاردة، والقتل، وسلب الحقوق، وقطع الأيدي بل الرؤوس، وبذل الأموال الطائلة، هل لمجرد التحسيس بفظاعة المأساة، وإثارة العواطف، وإسالة الدموع، أم لأجل الحصول على الثواب، أم لأجل التوعية الجماهيرية، أم لأجل بقاء حرارة الثورة مستعرة في نفوس المؤمنين، والواقع أن كل هذه الوجوه لها وجه من الصحة، ولكنَّ الأصل فيها تركيز روح الولاء لله، ولرسوله، ولأهل البيت في نفوس المسلمين، والمؤمنين.

فلسفة الشعائر:

بعد هذا يمكن أن نستخلص السر على هذا التأكيد ببيان فلسفة تلك الشعائر الإلهية، نختصرها بنقاط كما ذكرناها في كتابنا (الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب)[٨]:

١ - إن إقامة الشعائر الحسينية تكشف لنا عن أهمية الإسلام، وقيمته في حياة البشرية، وانه فوق كل الاعتبارات المادية والمعنوية، وأن كل شيء من مال وبنين بل كل ما في الدنيا يجب أن يبذل من أجله حتى لو كان التضحية بالنفس، وقد بذل الحسين عليه السلام دمه لأجله وهو دم رسول الله صلى الله عليه وآله وليس فوق ذلك من قيمة..

٢ - إن إحياء هذه الذكرى تكشف باستمرار عن المنهج الذي انتهجه أئمة أهل البيت في حماية الإسلام، ونشر مبادئه، وتحقيق أهدافه، وهو منهج يتسم بالتخطيط الواعي الهادف كما يتسم بالتضحية والفداء.

٣ - من خلال إظهار تضحياتهم الكبرى في سبيل الحق والعدل يوجه المجتمع روحياً، وفكرياً، ووجدانيا، وأخلاقياً، وبذلك تضع هذه المجالس الإنسان على جادة الصواب، وتعمل على تغير الواقع الفاسد إلى واقع سليم.

وبعبارة أخرى إن ذكر مواقفهم وكلماتهم تعمق روح الولاء في نفوس شيعتهم وتدفعها إلى الثورة والرفض لكل ما يخالف شريعة الله، كما أنها لها دور فعال في تنقية النفوس من الأدران ومذام الأخلاق؛ وذلك لأن ذكر الأولياء ودراسة سيرتهم يوجب المحبة، والمحبة توجب التجاذب، والتجاذب يوجب التواصل معهم في مسيرتهم.

٤ - كما أن تلك المجالس توضح أن الصراع الذي دار بين أئمة الهدى، وبين خصومهم ليس صراعاً شخصياً ذاتياً - كما يحاول بعض الكتّاب أن يصوره - وإنما هو صراع بين اتجاهين مبدئيين عقائديين، وبعبارة أدق إنه صراع بين الإيمان الواضح الصريح وبين الإسلام المبطن بالشرك.

٥ - إن استعراض أحداث الطف، وترديد شعاراتها، وبيان سلوك قادتها في مختلف حالاتهم يتضمن إدانة صريحة لكل نظام مخالف لشرعة الله تعالى.

وأحسن من قال: (كل طعنة سيف في عاشوراء هي طعنة لمفاسد الحكم في أي وقت، وكل نقطة دم أُريقت فداء للحق استمرت تعلن فداءها في رغبة الإنسان العامرة في الاستشهاد في سبيل مبادئه)[٩].

وبهذا أصبحت مجالس العزاء الحسيني الواعية مدارس تبعث حس البطولة والشجاعة، وتذكي روح الحماس في

النفوس، وتصعد فيها روح التطلع للشهادة، وحب الموت في سبيل الله تعالى، وبهذا تبعث الشعور بالمسؤولية إزاء كل الأوضاع المنافية لأحكام الله تعالى.

وبذلك يتضح لنا معنى قول الصادق عليه السلام (أحيوا أمرنا)، وعن أبي الصلت الهروي قال: (سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا)[10].

وأما أهداف هذه المجالس فنختصرها بما ذكرناه في الكتاب المذكور[11]:

١ - إرجاع الناس إلى الله تعالى؛ وذلك لأن الحسين عليه السلام ما ثار وتَحَمَّل ما تَحَمل من التضحية والفداء؛ إلا لأجل تعبيد الناس لله تعالى؛ ولهذا يروي لنا الإمام الصادق عليه السلام عن جده الحسين عليه السلام أنه قال: (أيها الناس إن الله ما خلق الخلق؛ إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا عن عبادة ما سواه)[12].

ومن خلال التأمل في كلماته ومواقفه وإقدامه على الشهادة يتبين أنه عليه السلام أراد من كل خطوة خطاها، ومن كل كلمة نطق بها أن يُعَبِّد الناس لله تعالى، ويقربهم إليه بتحكيم شرائعه.

ومن هنا يجب أن تكون مجالس العزاء الحسين عليه السلام مدارس إلهية تُرجع الناس إلى الله تعالى، وإذا لم تكن كذلك فلا حاجة للحسين عليه السلام وأولاده، وإخوانه وأصحابه بها؛ لأن مجالسه يجب أن تصور حياته، وأخلاقه، وأهدافه، ووسائله. فهي مجالس ذكر وعبادة يتقرب العبد بها إلى الله من خلال ما يطرح فيها من معارف إلهية، مفاهيم إسلامية، وما تبعثه في النفوس من حرارة رسالية، وشوق إلى الله تعالى.

وخلاصة القول إن مجالس العزاء الحسيني محاريب ذكر تُركّز العقيدة الإسلامية في النفوس، وتعمق حب الله ورسله في القلوب، وتدل الإنسان على الهدى، وتحميه من السقوط في الردى.

٢ - إن المجالس الحسينية تبين لنا أهمية الإسلام، وأنه فوق كل الاعتبارات والقيم، وأن قيمته لا تحد بحدود فهي أثمن من الأرواح، والأموال، والأولاد، وكل شيء، ولهذا بذل عليه السلام ماله ودمه وأولاده ورضي أن تسبى بناته ونساؤه فداء للإسلام.

ثم إن مجالس الحسين عليه السلام تعطي المفهوم الصحيح للدين، وتعيده للحياة؛ ليحكمها ويقودها.

وبهذه المجالس يتضح أن الدين ليس مجرد عبادات شكلية، وإنما هو نظام ومنهج حياة. وهذه من أعظم الخدمات التي تقدمها هذه المجالس وهكذا (أثمرت شهادة سيد المظلومين عليه السلام وأتباع القرآن في عاشوراء خلود الإسلام، وكتبت الحياة الأبدية للقرآن الكريم)[13].

٣ - إن المجالس الحسينية الواعية تبعث روح التغير وروح الإصلاح في نفوس مستمعيه، وهو ما أشار إليه الحسين عليه السلام بقوله: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله)[14].

وكما خرج الحسين عليه السلام لأجل الإصلاح، لابد وأن تكون المجالس المعقودة باسمه مجالس إصلاح؛ لتغيير الواقع الفاسد إلى واقع سليم. وهذا الهدف هدف أساسي ومركزي.

٤ - إن مجالس الحسين لا بد أن

تعمق روح الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى في نفوس الحاضرين، ولقد كان الحسين عليه السلام يهدف إلى تحقيق ذلك منذ الساعات الأولى في انطلاقه وقبل وصوله كربلاء، فعندما خطب في جيش الحر، قال بعد الحمد لله، والثناء عليه: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم، والعدوان فلم يغير عليه بفعل، ولا قول كان حقًا على الله أن يدخله مدخله..)[15].

بهذه الكلمات الملتهبة استطاع الحسين عليه السلام أن يلهب المشاعر، ويصعد الحماس الثوري في نفوس أصحابه، ويعمق في نفوسهم الشعور بالمسؤولية، وما لم تكن مجالسه كذلك فليس لها بالحسين عليه السلام أي مساس.

ولهذه المجالس عمق في تاريخ البشرية فما ذُكِرَ الحسين عليه السلام في محفل نبي، ولا ولي، ولا وصي، ولا عبد صالح، ولا إنسان ذي فطرة سليمة إلا وأبكاه وأثار أشجانه كما ثارت أشجان جده وأبيه وأمه وأخيه، وهو بعد حيًّا بينهم، ولا غرابة في ذلك فهو عليه السلام عِبْرَة وعَبرة لكل مؤمن، بل لكل إنسان.

الوسائل الشرعية لإقامة المجالس الحسينية:

إن إقامة الشعائر الحسينية هي تعبير عن الولاء العميق لله ولرسوله وأهل بيته، ونقصد بالولاء: الانتماء الفكري، والسياسي، والأخلاقي لهم، فليس الولاء في الإسلام مجرد رفع شعار دون أن يستبطن الشعار تحمل مسؤولية ما يدعو إليه.

ويمكن أن نؤكد أنَّ التعبير عن هذا الولاء يتناسب تناسباً طردياً مع مستوى الوعي الذي يحمله الموالي؛ ولذا كل شخص يعبر عن ولائه بمستوى وعيه، فمنهم من يعبر تعبيراً فكرياً، وعقائدياً ببيان مبادئ، وعقائد، وأفكار أهل البيت عليهم السلام بكتابة البحوث، والدراسات الفكرية التي توضح جميع أبعاد رسالة أهل البيت عليهم السلام على مختلف الصعد، وتنشر أحاديثهم، وتعاليمهم، وتوضح سيرتهم، ومسيرتهم، وتحاول أن تجسدها واقعاً ملموساً في الحياة الإنسانية، قولهم: (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شينًا) أو حثهم على حفظ أحاديثهم وكلماتهم، ووصفها بالنور، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن على كلِّ حقٍّ حقيقةً، وعلى كلِّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)[16] أو قولهم عليهم السلام: (من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة)[17].

وقال عليه السلام: من حفظ عني من أمتي أربعين حديثًا في أمر دينه يريد به وجه الله، والدار الآخرة، بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا.

قال الصادق عليه السلام: (من حفظ عنا أربعين حديثا من أحاديثنا في الحلال والحرام بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا ولم يعذبه)[18].

ومن الموالين من يعبر عن ولائه ببذل المال، والإنفاق في خدمة هذه المجالس، ومنهم من يعبر بالحزن والبكاء، بل والجزع

الشديد، وهكذا تتعدد أساليب التعبير.

ولا مانع من تنوع الأساليب إلا أنَّه يجب أن تنسجم هذه الأساليب مع الشرع المقدس.

إذن التعبير عن الولاء بإقامة هذه الشعائر ونوعية أساليب الإقامة خاضع لمستوى وعي الموالي للإسلام، وفهمه لأهل البيت عليهم السلام.

ولا بد أن نعلم أنَّه لا يمكن لأحد أن يفهم حقيقة ثورة الحسين ما لم يع الإسلام وعياً سليماً في بعديه العقائدي والنظامي؛ ولذلك كلما ارتفع وعي الجمهور الحسيني فإنَّه يعبر تعبيراً ينسجم مع الإسلام قلباً وقالباً، والعكس صحيح، ولذلك من أهم واجبات العلماء والمبلغين، والكتاب الرساليين تأكيد رفع مستوى الوعي الإسلامي للجماهير؛ لتكون إقامة الشعائر تعبيراً عن روح الإسلام، وجوهره، ومقوماً لسلوك الفرد، وبانياً لكيان الجماعة.

المصادر:

(١) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان: ١٥٠/٧.
(٢) السيد السبزواري، مواهب الرحمن: ٢١٤/٢-٢١٥.
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي: ٢٢٤.
(٤) المقرم، مقتل الحسين عليه السلام: ٩٦.
(٥) المحدث عباس القمي، نفس المهموم: ٤٢.
(٦) ابن طاووس، اللهوف: ١١٥.
(٧) الآصفي، الشعائر والشعارات الحسينية: ٥٠.
(٨) الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب: ٣٧١-٣٧٣.
(٩) آنطوان بار، الحسين في الفكر المسيحي: ٧٠.
(١٠) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ٣/٢.
(١١) الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب: ٣٥٧-٣٦٠.
(١٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ٣١٢/٥.
(١٣) نفس المصدر: ٥٦.
(١٤) بحار الأنوار: ٣٣٠/٤٤.
(١٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤٠٣/٥، ونفس المهموم: ١٨٩.
(١٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١١٩/٢٧
(١٧) الشيخ الصدوق، الخصال: ٥٤٢.
(١٨) الفتال النيسابوري / روضة الواعظين: ٨٠

الحوراء زينب عليها السلام
إعلامية النهضة الحسينية

سعد حاتم مرزه •
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع يعد الإعلام وسيلة إيصال الخبر والرأي، والرأي المضاد حيث تقع بينهما الحقيقة التي يحاول البعض إخفاءها، فيقتنع المتلقي بالأدلة القوية، إذا وصلت إليه وأدركها، فترشده إلى الحقيقة، التي يتمنى الجميع الوصول إليها.

استخدم الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين عليهم السلام الإعلام، وفق الإمكانات المتاحة في تلك العصور، خير استخدام فنجحوا نجاحًا باهرًا في إيصال الحقيقة إلى أكبر عدد من المتلقين، فأفلحوا في هداية الناس إلى الحق، والتمسك بتعاليم الإسلام، إلا من غَرَّتْهُ زخارف الدنيا، فاتبع هواه، فلا دليل لديه يقنع الآخرين سوى الأموال يشتري بها الذمم، والقوة يهدد بها المؤمنين.

لم تكن مرافقة عائلة الإمام الحسين عليه السلام له، في السفر إلى الكوفة أو إلى كربلاء، رغبة خاصة أو شخصية أو نزهة أرادها أصحابها، وإنما كان الله عز وجل قد قضى أن تقوم العائلة بعد معركة الطف بدور إعلامي مؤثر وناجح آنيًا وتاريخيًا. فقد نجح آنيًا حيث استطاع أن يكشف الخداع الذي مارسته السلطة الأموية، ويضع الحقائق أمام الرأي العام، مما أثر في الموقف (الرسمي) للسلطة من التفاخر بقتل الإمام الحسين عليه السلام، إلى إلقاء اللوم والمسؤولية على الأمير والسلطات المحلية في الكوفة، والتنصل من إصدار الأوامر إلى السلطات المحلية بالقتل.

لما وصل أسرى المعركة إلى الكوفة، اجتمع الناس، فسألت إحدى النساء واحدة من نساء الأسرى عنهن فقالت: نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله، فجمعت لهن ما

صورة نادرة لمرقد السيدة زينب عليها السلام قبل تذهيب القبة الشريفة

يسترهن، فبكى أهل الكوفة، فكانت هذه أول خطوة إعلامية ناجحة كشفت الحقيقة للرأي العام.

ثم أومأت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى الناس بالسكوت، فسكنت الأنفاس، فأثنت عليها السلام على الله تعالى، وصلّت على جدها محمد صلى الله عليه وآله، ثم قالت: (يا أهل الختل والخذل، أتبكون فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي (نَقَضَتْ غَزْلَهَا من بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ)[1]، وإن فيكم إلا الصلف النطف، وذل العبد الشنف، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما تزرون...

إلى أن قالت عليها السلام: أتدرون، أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم، وأي دم سفكتم، وأي كريمة أبرزتم، وأي حرمة له هتكتم، وأي دم له سفكتم، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا[2]. لقد جئتم بها شوهاء صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء، كطلاع الأرض أو ملء السماء، أفعجبتم أن تمطر السماء دما، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ[3].

...فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار، ولا يخشى عليه فوت الثار، كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد.

قال الراوي :لما انتهت زينب عليها السلام من كلامها، رأى الناس حيارى قد ردوا أيديهم

في أفواههم، فالتفت إلي شيخ في جانبي يبكي، وقد أخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأمي، كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم..[٤].

هكذا أظهرت زينب الحقيقة بكلامها أمام المتلقين من أهل الكوفة فاعترفوا بها، بعدما استعملت السلطة سياسة الترغيب والترهيب فيهم.

لما دخل أسرى معركة الطف على يزيد في مجلسه في دمشق وجيء برأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه، فجعل يضرب ثناياه بمخصرته وهو يقول أبياتًا من الشعر أصبحت معروفة أولها:

لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

فأهوت زينب عليها السلام إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين تقرع القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا بن مكة ومنى، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا بن محمد المصطفى. فأبكت من كان في المسجد ويزيد ساكت.

ثم ألقت خطبتها المشهورة التي بدأتها بالثناء على الله تعالى، والصلاة على محمد وآله، موضحة غرور يزيد وجرائمه ضد أهل بيت النبوة وكاشفةً عن ظلمه، فقالت عليها السلام: أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إسار، نساق إليك سوقًا في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أن بنا من الله هوانًا، وعليك منه كرامة وامتنانًا، وأن ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحًا وتنقض مذرويك مرحًا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا وخلص لك سلطاننا؟

واستمرت عليها السلام في كلامها إلى أن قالت: ولئن جرت علي الدواعي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدور حرى. ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا..

وفي آخر خطابها كشفت عليها السلام عن مفردة من علم الغيب الإلهي بعد القسم بالله تعالى قالت: لا تدرك أمدنا ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا ولا يرحض عنك عارنا ... إلخ[٥]، فكانت خطبة بليغة ضد وأمام السلطة الحاكمة بوجود عدد كبير من أعوانها، فكشفت عن غرور يزيد وطغيانه، ولم تتنازل عن حقها وكبريائها أمام قوة الطغيان.

وفي حادثة أخرى عندما طلب رجل من أهل الشام من يزيد أن يهب له فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، قالت زينب عليها السلام مخاطبة يزيد: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله، فغضب يزيد، وبعد كلام له ردت عليه، ثم قالت عليها السلام: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت، أنت وأبوك وجدك!

فوجئ الرجل عندما علم أن الأسرى هم من عترة النبي صلى الله عليه وآله، فلعن يزيد على قتل (عترة نبيك وتسبي ذريته)، على حد قوله، بعدما أوهمهم يزيد بأنهم من سبي الروم، فأمر يزيد بضرب عنقه فضرب[٦].

وفي حادثة أخرى جاءت زوجة يزيد (هند بنت عبد الله بن عامر)، لترى

الأسرى، وعندما عرفت من زينب حقيقة ما قـام به يزيد فبكت، ثـم عاتبت زوجها واستنكرت ما قام به من قتل الإمام الحسين عليه السلام، فادعـى يزيد بأن ابـن زياد قد عجل بقتل الإمام الحسـين عليه السلام، ولكنهـا أجابته بقولها: أخذتك الحمية عليّ، فلم لا أخذتك الحمية على بنات فاطمة الزهراء؟! هتكت شـعورهن وأبديت وجوهـن وأنزلتهن في دار خربة، ثم أقسـمت بـأن يدخلن معها في بيتها فوافق يزيد، فبكت نسـاء آل أبي سـفيان وأقمن المأتم والعـزاء لثلاثة أيام على الإمام الحسـين عليه السلام[٧]. فكان أول مأتم أقيم بعد معركـة الطف، وفي بيت الحاكم الأعلى للسلطة، لتأبين الإمام الحسين عليه السلام.

فلـو لـم تكـن زينـب عليها السلام وعائلـة الحسـين عليه السلام موجودة ضمن سـبايا معركة الطف، لما عرفت زوجة يزيد، ولما عرف أتباع السـلطة والرأي العـام حقيقة معركة الطف.

أما نجـاح الإعـلام تاريخيًـا، فيتمثل باسـتمرار زيارتـه وإحياء ذكـرى معركة الطف سـنويًا وازديادها، رغم المحاولات الفاشـلة لمنعها مـن قبل أعداء التشـيع، مـن الطغـاة والمسـتكبرين والنواصب، حتـى فاقـت أعـداد الزائرين فـي بعض المناسـبات الملايـين الكثيرة، فسـميت بالزيـارات المليونيـة، وغطـت أخبارها عددًا كبيرًا من وسـائل الإعلام، خصوصًا محطات التلفزة الفضائية، فانتشرت ثورة الحسين عليه السلام في كل أرجاء العالم أو معظمه، متخذين منها نبراسًـا يضـيء للمظلومين الطريق أمامهم للثورة ضد الطغاة.

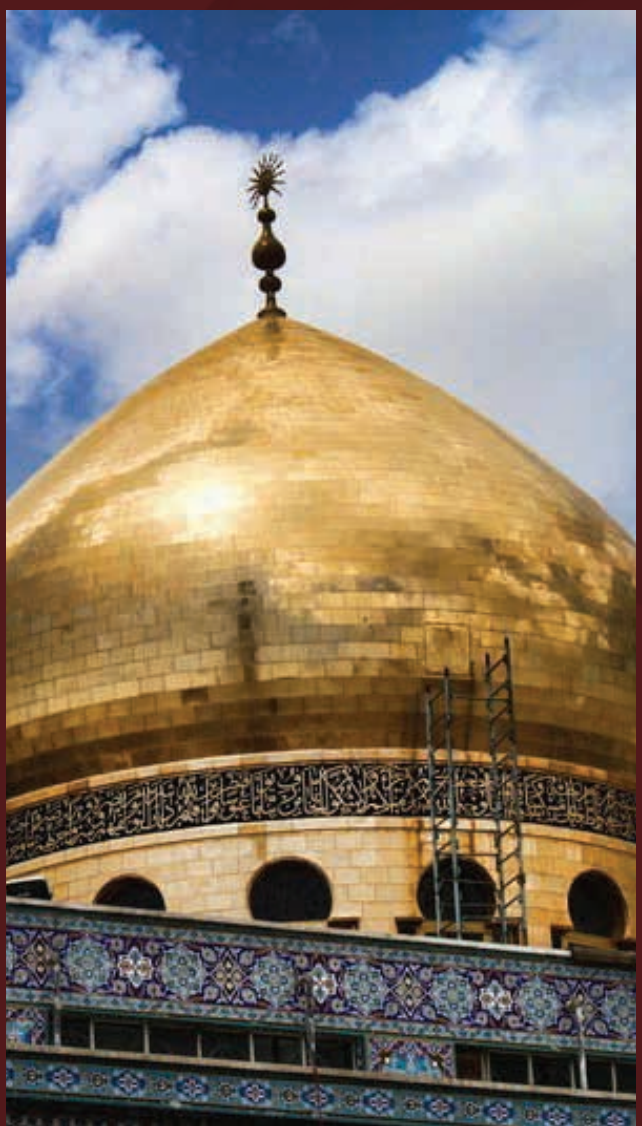

الهوامش

(١) النحل: ٩٢

(٢) مريم: ٨٩- ٩٠

(٣) فصلت: ١٦

(٤) الاحتجاج: ج٢/ ص٢٩

(٥) وردت الخطبـة في الاحتجاج/ ج٢/ ص٣٠٧ وما بعدها، وفي الملهوف ص ٢١٥

(٦) الإرشـاد ص٢٤٦، تاريـخ الأمم والملوك/ ج٥ / ص٤٦١

(٧) معالـي السـبطين: ١٦٤/ ج٢، تاريـخ الأمـم والملوك: ٤٦٥/ ج٥ الإيقاد: ١٨٠.

نظرة حول

اختراق نهضة مسلم بن عقيل عليه السلام

محمد جعفر القاضي •

ينابيع

ربما يأسف المتتبع والباحث في الثورة الحسينية ومعطياتها بادئ ذي بدء، للسهولة الكبيرة التي قام بها ابن زياد في عملية اختراق حركة مسلم بن عقيل عليه السلام من داخلها، بواسطة مولاه: (معقل)، وكان ذلك عن طريق مسلم بن عوسجة الأسدي رضي الله عنه.

لم يكن مسلم بن عوسجة رضي الله عنه بالشخص العادي؛ بل كان علماً من أعلام الشيعة، وكان لشجاعته صدى كبير في الفتوحات الإسلامية، كما شهد بذلك عدوه شبث بن ربعي حيث يقول: (ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون أنفسكم لغيركم. أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟! أما والذي أسلمت له، لرُب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم. لقد رأيته يوم سَلَق آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تتامّ خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!)[1].

والذي يخالج أذهان البعض من المتتبعين، أن على مسلم بن عوسجة رضي الله عنه أن يأخذ حذره أكثر، وأن يحتاط أشد الاحتياط من كل شخص، فضلاً عن كونه شخصاً غريباً، وكان عليه أن يطمئن أشد الاطمئنان إلى معقل (مولى ابن زياد) قبل أن يأذن له بالدخول على مسلم بن عقيل عليه السلام، والذي أدى إلى اختراق تلك النهضة ـ التي كان مسلم عليه السلام يزمع بالقيام بها ـ، والقضاء عليها في مهدها ومن داخلها!

بيد أن الذي قد وقع فعلاً لم يكن فيه تقصير من جانب ابن عوسجة رضي الله عنه، ولم يتهاون في حذره وحيطته، ولكن معقلاً كان كما وصف: (ماهراً في صناعته، وخبيراً فيما انتُدب إليه)[2]، لكي يخترق حركة مسلم عليه السلام من داخلها.

أما بالنسبة إلى سهولة تعرف معقل إلى ابن عوسجة رضي الله عنه فلم يكن يحتاج ـ فيما أحسب ـ إلى كثير جهد ومشقة، إذا علمنا أنه رضي الله عنه كان معروفًا، وأن معقلاً نفسه قد كشف له سهولة تعرّفه إليه بقوله: (سمعت نفراً يقولون: هذا رجلٌ له علم بأهل هذا البيت، فأتيتك لتقبض هذا المال وتدلني على صاحبك فأبايعه، وإن شئتَ أخذتَ البيعة له قبل لقائه)، في الوقت الذي عبّر له ابن عوسجة رضي الله عنه عن استيائه للسرعة في التعرّف إليه حيث قال: (.. ولقد ساءني معرفتك إيّاي بهذا الأمر من قبل أن ينمى مخافة هذا الطاغية وسطوته..)[3].

ولو نظرنا إلى القضية بواقعية أكبر، فإننا سنجد..

أولاً: أن ابن عوسجة رضي الله عنه لم يدخل

منظر جوي لمسجد الكوفة عام ١٩١٥م

معقلاً على مسلم عليه السلام فوراً، بل إنه أخّره أياماً عديدة قبل أن يطلب الإذن له، وكان قد طلب منه أن يجتمع معه في منزله لكي يتعرّف إليه وعلى ملكاته النفسية أكثر حيث قال له فيما قال: (اختلف إليَّ أياماً في منزلي فإني طالبٌ لك الإذن على صاحبك)(٤).

ثانياً: إنه لم يدخله على مسلم بن عقيل عليه السلام حتى طلب له الإذن بالدخول، وأُذن له، ومن غير شك ولا شبهة، أن طلب الإذن يتم بعد أن شرح له ابن عوسجة رضي الله عنه ظاهر الحال الذي قام معقل بالتظاهر به، والاطمئنان الذي حصل.

ثالثاً: قال ابن نما رحمه الله: (ثم إن عبيد الله بن زياد حيث خفي عليه حديث مسلم دعا مولى له يقال له: معقل، فأعطاه أربعة آلاف درهم.. وأمره بحسن التوصّل إلى من يتولّى البيعة وقال: أعلمه أنّك من أهل حمص جئت لهذا الأمر، فلم يزل يتلطف حتى وصل إلى مسلم بن عوسجة الأسدي..)(٥). فإن هذا النص يدل فيما يدل، على مهارة ابن زياد اللعين في التجسس، حيث أوصاه بأن يتظاهر بأنه من أهل حمص بالذات، وكان ذلك لسببين:

الأول: حتى يمنع ابن عوسجة رضي الله عنه من إمكانية السؤال عنه، والاستفسار عن حقيقة حاله بين قبائل الكوفة.

الثاني: كون أهل حمص ـ على ما يظهر ـ من المعروفين بحب أهل البيت عليهم السلام، فتكون تلك ذريعة للاطمئنان عند من يتخذه معقل منفذاً لاختراق حركة مسلم عليه السلام من الداخل.

وخلاصة الأمر: أن معقلاً كان قد سار بخطةٍ محكمة، وكان بالفعل متقنًا لدوره المرسوم له، حيث كان بارعا في الكذب، بل أفاقًا، فحضوره اليومي مثلًا مع مسلم بن عقيل عليه السلام على الرغم أنه كان شخصًا غريبًا نوعا ما، إلا أنه استطاع أداء الدور بإتقان وخداعهم (إن الكريم إذا خادعته انخدعا)، ولكن لا ننسى أنهم ليسوا أول من اخترق بواسطة الجواسيس، بل إن هذا الأمر من الأمور المألوفة التي اعتادت كل الأنظمة عليها، وأن نتذكر قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر).

المصادر:

(١) تأريخ الطبري ٣: ٣٢٥، الكامل في التأريخ ٣: ٢٩٠.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢: ٣٢٩.

(٣) إبصار العين: ١٠٨-١٠٩، وراجع الإرشاد: ١٨٩، تأريخ الطبري ٣: ٢٨٢.

(٤) الإرشاد: ١٨٩.

(٥) مثير الأحزان: ٣٢.

سيرة راية

د.علي مجيد البديري •

ينابيع

الوجُـوهُ والعُيـونُ والأصَابِـعُ التي اشترَكتْ في صُنعِ نَسيجي مُتداخلةٌ، مُتشـابكةٌ، مُوغلةٌ في الأبـد. لكَ - إن اسـتطَعتَ - أنْ تَعُـدَّ خُيوطِي، ولِيَ - إنْ أسعَفتْني الذَّاكرةُ - أنْ أذكرَ أسماءَ ناسجِيها:

الخَيطُ الأولُ انسكبَ من نورِ العَرشِ، من بَيـنِ كافِ المَشـيئةِ ونُونِهـا، لذا فإنَّ عِشقيَ يَخفقُ طَليقاً في السَّماءِ.

الخَيـطُ الأخيـرُ تَبرْعَـمَ مِـن أنفاسِ الحُسـينِ المُخْضَلَّةِ برَفيفِ الوَجدِ، وَهوَّمَ معَ صَلاتِـه صَـوبَ المَلكـوتِ.. و مَا بَينَ الخَيطَينِ تَنَفَّستْ طُفوفُ العِشقِ:

خَيطٌ انسَـلَّ من طَرَفِ عِمامةِ العَبَّاسِ، تَوزَّعَ بيـنَ الكَفينِ المَقطوعَيـنِ، والقِربةِ الفَارغـةِ التي انبَجَسَ حولَهـا ألفُ فُراتٍ، يَلـلُ حُنجـرةَ التَّاريخِ، وهـي تَتحدَّثُ عَن مَلحمةِ إباءٍ وَفَتحٍ لا تَتَكرَّر..

خَيطٌ تَدفَّقَ مِن عَطشِ الأكبَرِ، شَـاعراً بنَصـلِ الظَّهيرَةِ يَلْفحُ وجْهاً لرسَـولِ اللهِ، يَملأ فَراغَ العَالمِ من جَديدٍ..

خَيـطٌ هـوَ الأكثـرُ التماعاً فـي عَينِ الشَّـمسِ، كانَ مُلتصِقاً بقِمـاطِ الرَّضيعِ، وَيُلامِـسُ اصبـعَ الحُسـينِ، ليرفَـعَ مِـن البياضَينِ عَلامةَ الطَّفِّ الفَارقةِ.

خَيطٌ من أوَّلِ شَـهقةٍ لهُ رَنَّ عَلى ذِراعِهِ سِـراجُ الصُّبحِ، خَـرجَ من جُبَّةٍ للحَسـنِ، ليُمطرَ أرضَ الطَّفِ جُوداً من دِمَاءٍ..

خَيـطٌ ارتَفَـعَ مِن أعمـاقِ التَّسـبيحِ، وانجَذَبَتْ جَناحَاهُ - مأخوذةً - نَحوَ الوصُولِ، فَاضَـتْ على لُغَةٍ لا تُدركُها الألسُـنُ، وهيَ تُدركُ سماواتِ الكَلمةِ، جَرى نَحو الحُسينِ بِفرحٍ بَـاذخٍ، فالجَنَّةُ اتَسَـعَتْ بَيـنَ يَديهِ، وضَاقَتْ بالرُّوحِ خَيمةٌ تَذرُوها الرِّياحُ..

خَيطٌ أفاقَ فَاغتَسَـلَ مِنْ غَفلةٍ، وَأحاطَ بِقلبِـهِ رَجاءٌ ويقيـنٌ.. وبإشَـارةِ عُروجٍ من الحُسينِ انطَلقَ أنشودةَ نورٍ حُرَّةً في فَضاءِ المَحبَّةِ..

خَيـطٌ ناصِعُ البَياضِ، سَـطَعَ عَلى لوحِ الحَـربِ، تَعَفَّنَتِ الأيـدِي الفَارِغةُ - إلا مِنَ الطَّعـنِ - عَلى جَبينِهِ، سُـرعانَ ما انزاحَتْ حِينَ انسكَبَ عَلى الجراحِ مِيلادٌ أبديٌّ.

خَيـطٌ مِـن النَّرجسِ التفَّ حَـولَ قُبَّةِ الرُّوحِ، وتَدلَّى من ذَهبِ مُذابِ صَوبَ أنينٍ في خَيمةِ زينبَ تَوهَّجَ، واسـتَطالَ، ورَسمَ من نُقطةِ دمٍ سَاخنةٍ، صورةَ طِفلٍ يُشيرُ..

خَيطٌ انسَـلَّ من أذيالِ ثَـوبٍ يَحترقُ، حينَ افترسَتِ النَّارُ المَسعُورةُ خِيامَ النِّساءِ، وانكَمَشَتْ من فَرطِ الذُّعرِ والذُّهولِ وجوهُ الأطفَالِ اليَابِسةُ..

خَيطٌ يَنفُـخُ في الرَّملِ - قُبيلَ أنْ يَلتحقَ بالنَّسـيجِ - حكايةَ المَاءِ الـذي دَوَّنَ وَصيَّتَهُ: مِفتاحُ الحَياةِ حُبُّ عَليٍّ وَبَنيه.

وَلهـذا - أحبَتـي -.. حِيـنَ أَخْفِـقُ فِي الفَضاءِ، عَلى قُبةِ الحُسينِ، أزرَعُ فِي المَدى نَهارًا لا يُثمِر غَير الشُّموسِ..

صورة من الطف

* بعد أن استشهد جميع من في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وهو يقاتل، خرج إليه تميم بن قحطبة، وهو من أمراء الشام في تلك الحالة قال: يا بن علي! إلى متى الخصومة، وقد قتل أولادك ومواليك، وأنت بعد تضرب بالسيف مع عشرين ألفًا؟!

فقال عليه السلام: أنا جئت إلى محاربتكم، أم أنتم جئتم إلى محاربتي؟

أنا منعت الطريق عنكم، أم أنتم منعتموه عني؟

وقد قتلتم إخوتي وأولادي، وليس بينكم وبيني إلا السيف. فقال اللعين: فلا تكثر المقال، فتقدم إليّ حتى أرى ما عندك!؟

فصاح الحسين عليه السلام صيحة عظيمة، وسلّ السيف وضرب عنقه، فتبعد خمسين ذراعًا، فاضطرب العسكر وصاح يزيد الأبطحي لعنه الله: ويلكم! إنكم عجزتم عن رجل واحد تفرون عنه!

ثم برز إلى الإمام عليه السلام وكان اللعين مشهورًا بالشجاعة، فلما رآه العسكر أظهروا البشاشة والسرور، فصاح عليه السلام به:

ألا تعرفني تبرز إلي كمن لا خوف له!؟

فلم يجبه اللعين وسل سيفه على الإمام، فسبقه الإمام وضرب على وسطه بالسيف، فقدَّه نصفين!

معالي السبطين ج٢ ص٣٠

إحصائيات عن النهضة الحسينية

وما رافقها من أحداث وما تلتها

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي •

ينابيع

في هذا البحث، وفي هذه العجالة نحاول أن نسلط الضوء على أحداث مهمة حدثت قبل وبعد واقعة الطف وفي أثنائها، سردناها، وجعلناها على شكل إحصائيات مهمة، فيها من الفائدة الشيء الكثير للقارئين، وللباحثين، ومنها:

أولاً ـ من استشهد من النساء في واقعة الطف:

١ـ أم وهب النمرية، زوجة عبد الله بن عمير الكلبي.

ثانياً ـ الأطفال الذين استشهدوا في واقعة الطف، ولم يبلغوا الحلم:

١ـ عبد الله الرضيع ابن الحسين عليه السلام.

٢ـ عبد الله ابن الحسن المجتبى عليه السلام.

٣ـ محمد بن أبي سعيد بن عقيل، زوج فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ القاسم بن الحسن المجتبى عليه السلام.

٥ـ عمرو (أو عمر) ابن جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي.

ثالثاً ـ المملوكون (العبيد) أو (الموالي) الذين قاتلوا واستشهدوا في واقعة الطف:

١ـ نصر بن أبي نيزر مولى أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ سعد بن الحرث الخزاعي مولى أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ منجح مولى الإمام الحسين عليه السلام.

٤ـ أسلم التركي مولى الحسين عليه السلام.

٥ـ قارب الدائلي أو الديلمي مولى الحسين عليه السلام.

٦ـ الحرث أو (الحارث) بن نبهان مولى الحمزة بن عبد المطلب.

٧ـ جون بن حوي، مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، كان عبداً لأمير المؤمنين عليه السلام، أهداه لأبي ذر ليخدمه في آخر حياته، فلما توفي أبو ذر رضي الله عنه

شباك مذبح الإمام الحسين عليه السلام

رجع لأمير المؤمنين عليه السلام، و بقي عند آل البيت عليهم السلام حتى تشرف بالشهادة مع الإمام الحسين عليه السلام.

٨- رافع مولى مسلم الأزدي.

٩- سعد مولى عمرو بن خالد الصيداوي.

١٠- سالم أو (أسلم)، مولى بني المدينة الكلبي، و قيل هو تركي.

١١- سالم مولى عامر العبدي.

١٢- شوذب، مولى عابس الشاكري.

١٣- شبيب بن عبد الله، مولى الحرث الجابري.

١٤- واضح (الرومي)، مولى الحرث السلماني المذحجي.

١٥- سليمان، مولى الحسين عليه السلام، واستشهد في البصرة و هو يحمل رسالة لأصحاب الأخماس فيها.

١٦- الحباب، مولى عامر التميمي.

رابعاً - من كبار السن والمعمرين ممن قاتل يوم الطف:

١- أنس بن الحارث (أو بن الحرث بن نبيه) الكاهلي، ممن قاتل في بدر وحنين، يروي عنه البخاري، وابن حجر العسقلاني في الإصابة.

٢- مجمع بن زياد الجهني.

٣- جنادة بن الحارث الأنصاري.

خامساً - أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام:

١- أنس بن الحارث الكاهلي.

٢- جنادة بن الحارث (الحرث) السلماني الأنصاري.

٣- جندب بن حجير الخولاني.

٤- جون بن حوي (مولى أبي ذر الغفاري).

٥- حبيب بن مظاهر.
٦- زاهر بن عمرو.
٧- سعد بن الحرث الخزاعي، مولى علي عليه السلام.
٨- شبيب بن عبد الله، مولى الحرث الجابري.
٩- عبد الرحمن بن عبد ربه الخزرجي.
١٠- عبد الله بن يقطر، أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة.
١١- عطية بن الصلت الجهني.
١٢- عمار بن أبي سلامة الدلاني.
١٣- قرة بن أبي قرة الغفاري.
١٤- كنانة بن عتيق.
١٥- مجمع بن زياد الجهني.
١٦- مسلم بن عوسجة.
١٧- مسلم بن كثير الأزدي.
١٨- هاني بن عروة.
١٩- نعيم بن عجلان الأنصاري.
٢٠- يزيد بن مغفل الجعفي.

سادساً - شيوخ القبائل والوجهاء ممن قاتل مع الإمام الحسين عليه السلام:
١- حبيب بن مظاهر الأسدي.
٢- الحر الرياحي.
٣- زهير بن القين.
٤- جندب بن حجر، و كان أمير كندة و الأزد.
٥- سويد بن عمر بن أبي المطاع.
٦- مسلم بن عوسجة.
٧- نافع بن هلال الجملي.

سابعاً - من العلماء والفقهاء الذين قاتلوا مع الحسين عليه السلام:
١- برير بن خضير الهمداني، فقد كان شيخ القراء، وله كتاب القضايا والأحكام يرويه عن أمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام، ويعتبر كتابه من الأصول كما في تنقيح المقال.
٢- حنظلة بن سعد الشبامي.
٣- حبيب بن مظاهر الأسدي.
٤- شوذب، مولى بني شاكر.
٥- عابس بن أبي شبيب الشاكري.
٦- مسلم بن عوسجة.

ثامناً - ممن كان مسيحياً ثم تشيع وقاتل مع الإمام الحسين عليه السلام:
١- وهب بن عبد الله الكلبي، و الذي صحب زوجته و أمه معه.

تاسعاً - ممن كان عثماني الهوى ثم تشيع و قاتل مع الحسين عليه السلام:
١- زهير بن القين، وابن عمه.

عاشراً - من تأكد حمله لعياله مع الإمام الحسين عليه السلام هم:
١- جنادة بن الحرث السلماني.
٢- عبد الله بن عمير الكلبي.
٣- مسلم بن عوسجة.

أحد عشر - ممن قتل في الطف بعد الإمام الحسين عليه السلام:
١- سويد بن أبي المطاع.

فإنه أرتث، وأغمي عليه، فأفاق على أصوات البشائر بقتل الحسين عليه السلام، فأخرج سكيناً كان خبأها في خفه فقاتل بها حتى قتل.
٢- سعد بن الحرث، وأخوه أبو الحتوف.

فإنهما كانا على الحسين عليه السلام فلما قتل وتصارخت العيال والأطفال، مالا على قتلة الحسين عليه السلام فجعلا يضربان فيهم حتى قتلا.
٣- محمد بن أبي سعيد بن عقيل.

فإنه لمّا صرع الحسين عليه السلام وهجم القوم على الخيم خرج مذعورًا من تلك الأبنية يلتفت يمينًا وشمالًا، فشدّ عليه لقيط بن

ناشر الجهني فقتله.

اثنا عشر - من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام وقتل آباؤهم معهم:

١- علي الأكبر.

٢- عبد الله الرضيع.

٣- عمر بن جنادة.

٤- عبد الله بن يزيد العبدي.

٥- عبيد الله بن يزيد العبدي.

٦- عائذ بن مجمع.

٧- عبد الرحمن بن مسعود.

وأما الأحداث التي تلت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام:

١- لم تكن في السماء حمرة حتى قُتل الحسين عليه السلام، ولم تطمث امرأة بالروم أربعة أشهر إلا وأصابها وَضَحْ، فكتب ملك الروم إلى ملك العرب: قتلتم نبياً أو ابن نبي[١].

٢- لم تبكِ السماء إلا على اثنين: يحيى بن زكريا، والحسين، وبكاء السماء؛ أن تحمر وتصير وردة كالدهان[٢].

٣- لما قُتل الحسين اسودت السماء اسوداداً عظيماً، وظهرت الكواكب نهاراً حتى رؤيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر، ومكثت السماء بلياليها كأنها علقة[٣].

٤- مطرت السماء يوم شهادة الحسين دماً، فأصبح الناس وكل شيء لهم مليء دماً، وبقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت، وأن هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يوم قتله ولم تر قبله[٤].

٥- لما قُتل الحسين مكث الناس أيام إذا صلوا العصر نظروا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة من شدة حمرتها، ونظروا إلى الكوكب تضرب بعضها بعضاً[٥].

٦- امتنعت العصافير عن الأكل يوم عاشوراء[٦].

٧- لما قُتل الحسين مكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس[٧].

٨- لم يبق ممن قتل الحسين إلا عوقب في الدنيا: إما بقتل، أو عمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة[٨].

٩- أظلمت الدنيا ثلاثة أيام[٩]، واسودت سواداً عظيماً[١٠]، وبدت الكواكب نصف النهار[١١].

ملاحظات:

١- لقد فعلوا بالحسين عليه السلام ما لم يفعل في جميع الأمم بأشرار الخلق؛ من القتل بالسيف والرمح والحجارة وإجراء الخيول.

وقد وصل بعض هذه الخيول إلى مصر، فقلعت نعالها وسمرت على أبواب الدور تبركاً. وجرت بذلك السنة عندهم، فصار أكثرهم يعمل نظيرها ويعلقه على أبواب الدور[١٢].

٢- أول ما ظهرت فكرة السبحة التي تكون من التراب (الطين) حين استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وآله، فقد استعملت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله سبحة من تربة قبر حمزة رضي الله عنه، ولما قتل الإمام الحسين عليه السلام عدل الأمر إليه[١٣].

وإن أول من صنعها هو الإمام زين العابدين عليه السلام حين أخذ من القبر الشريف حين الدفن كماً من التراب و صنع منه السبحة المباركة.

٣- أول من صلى على التربة الحسينية (التراب) هو الإمام زين العابدين عليه السلام ثم ابنه الباقر عليه السلام، ثم الصادق عليه السلام، والذي حث شيعته على الاقتداء به والسجود على تربة الحسين عليه السلام وقوله: (إن السجود

على تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع[١٤] وإنها تستعمل للشفاء أكلاً، ولمن يخاف حرزاً[١٥].

٤- أول من رثى الإمام الحسين عليه السلام هو سلمان بن قتة العدوي التيمي مولى بني تيم بن مرة، و كان سليمان منقطعاً إلى بني هاشم، وقيل (قتة) اسم أمه، وأما أبوه فاسمه حبيب المحاربي، وهو تابعي مشهور، وكان مطلع قصيدته المشهورة:

مررت على أبيات آل محمد
فلم أرها أمثالها يوم حلتِ[١٦]

الهوامش:

(١) وَضَح:بفتحتين الضوء والبياض وقد يكنى به عن الابرص(مختار الصحاح ص٣٠٢). المعجم الكبير: ١٤٦/ تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٠/ سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢١١، الصواعق المحرقة، ص ١٩٢/ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩٧/ ينابيع المودة، ص ٣٢٢ و ٣٥٦/ إحقاق الحق، ج ١١، ص ٤٧١ - ٣٧٣

(٢) تاريخ دمشق، ج ٤، ص ٣٣٩/ كفاية الطالب، ص ٢٨٩/ سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢١٠/ تذكرة الخوص، ص ٢٨٣/ تفسير القران، أبن كثير، ج ٩، ص ١٦٢.

(٣) تاريخ دمشق، ج ٤، ص ٣٣٩/ الصواعق المحرقة، ص ١١٦.

(٤) ذخائر العقبى، ص ١٤٤- ١٤٥ - ١٥٠/ تاريخ دمشق، ج ٤، ص ٣٣٩/ الخصائص الكبرى، ص ١٢٦.

(٥) العُصْفُر:بضم العين والفاء:صبغ. المعجم الكبير، ص ١٤٦/ تاريخ الخلفاء، ص ٨٠/ إسعاف الراغبين، ص ٢٥١.

(٦) إحقاق الحق، ج ١١، ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

(٧) تذكرة الخواص، ص ٢٨٤/ الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٠١، البداية و النهاية، ج ٨، ص ١٧١/ أخبار الدول، ص ١٠٩

(٨) إسعاف الراغبين، ص ١٩٢/ إحقاق الحق، ج ١١، ص ٥١٣.

(٩) تاريخ أبن عساكر، ج ٤، ص ٣٣٩/ الخطط المقريزية، ج ٢، ص ٢٨٩.

(١٠) الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي، ج ١، ص ٢٤/ تاريخ أبن عساكر، ج ٤، ص ٣٣٩.

(١١) تهذيب التهذيب، أبن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٣٥٤.

(١٢) الآثار الباقية، البيروني، ص ٣٢٩.

(١٣) مجلة الموسم، العدد ١٣، ص ٤٠.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) الخصائص الحسينية، التستري.

(١٦) أدب الطف، جواد شبر، ص ٥٤/ تاريخ أبن عساكر، الجزء الخاص بالحسين، ص ٣٠١.

صورة من الطف

* لما ضاق الأمر بالحسين عليه السلام وقد بقي وحيدًا فريدًا، التفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم، ثم التفت إلى خيم بني عمومته وأصحابه فوجدها خالية منهم، فجعل يكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فجاء إلى خيمة ولده زين العابدين عليه السلام فدخل عليه وعنده زينب تمرضه، فأراد النهوض فلم يتمكن من شدة المرض، فجلست زينب خلفه وأسندته وهو يحمد الله تعالى، ثم قال: يا أبتاه! ما صنعت اليوم مع هؤلاء المنافقين؟

فقال له الحسين عليه السلام: يا ولدي! قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، وبدأ زين العابدين عليه السلام يسأله عن عمه وإخوته وأولاد عمومته وأصحابهم، وكان كلما سأله عن أحد قال له قتل، فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديدا، ثم قال لعمته زينب: يا عمتاه! علي بالسيف والعصا.

فقال له أبوه: وما تصنع بهما؟ فقال: أما العصا فأتوكأ عليها، وأما السيف فأذب به بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه لا خير في الحياة بعده.

فمنعه الحسين من ذلك، وضمه إلى صدره وقال له: يا ولدي! أنت أطيب ذريتي، وأفضل عترتي، وأنت خليفتي على هؤلاء العيال والأطفال، فإنهم غرباء مخذولون، قد شملتهم الذلة واليتم وشماتة الأعداء ونوائب الزمان، سكتهم إذا صرخوا، وآنسهم إذا استوحشوا، وسل خواطرهم بلين الكلام، فإنهم ما بقي من رجالهم من يستأنسون به غيرك، ولا أحد عندهم يشكون إليه حزنهم سواك، دعهم يشموك وتشمهم، ويبكوا عليك وتبكي عليهم. ثم لزمه بيده عليه السلام وصاح بأعلى صوته: يا زينب! ويا أم كلثوم! ويا سكينة! ويا رقية! ويا فاطمة! اسمعن كلامي واعلمن أن ابني هذا خليفتي عليكم، وهو إمام مفترض الطاعة. ثم قال له: يا ولدي! بلغ شيعتي عني السلام، فقل لهم: إن أبي مات غريبًا فاندبوه، ومضى شهيدًا فابكوه!

الدمعة الساكبة ج٤ ص٣٥١

قصيدة:

صلاة الفجر ..

إلى الحب الأكبر الذي تجلى في كربلاء ..

أهديه هذه الانحناءة

موفق السيد حمزة الماجد •
قطيف الولاء ـ الحجاز

تترنّــح الظلمــات بيــن غياهــبِ ... لتكحِّــل الأرجــاء ســود مصائبِ
فــي خيمــة ســوداءَ ينســج حزنه ... يغفــو علــى وجــعٍ ونــوحٍ دائبِ
فــإذا نظــرت الأفــق بانــت خيمةٌ ... قــد أطبقت فــوق الزمــان اللّازبِ
وإذا مشــيت فإنما يمشــي الأســى ... والظلُّ أســرى[1] الضوء سَرْيَ[2] معاتبِ
حين اعتــلاء الأفقِ شــمس حقيقةٍ ... تتفيــأُ الزرقــا بحمــرة خاضــبِ

* * *

تلك الســماء البكر تشــعر بالجوى ... تهدي إلــى الباكي دمــوع كواكبِ
وإذا بصبــح العشــر منصهــراً على ... حــرِّ الظهيرة مثــل وجهٍ شــاحبِ

* * *

ضريح الحسين عليه السلام قبل التجديد

صفراء مـــن وجلٍ تحـــدِّق في القضا ... تلك الســـماء بلـــون حيـــرة خائبِ
حمـــراء من خجـــلٍ تَمُـــدُّ خمارها ... تلـــك الســـماء بلـــون خيبـــة آيبِ
ســـوداء من حَـــزَنٍ تمدُّ ســـدولها ... تخفـــي قوافـــل ســـبيهم بحواجبِ
وتخيّـــرُ الأصحاب من بيـــن الورى ... وكأنهـــم خـــرَزٌ بســـبحة راهـــبِ
درٌّ عقيـــقٌ لؤلـــؤٌ وزبرجـــدٌ ... حجـــرٌ نفيـــسٌ دون أي شـــوائبِ

* * *

يضع الشـــواهد في مخطِّ ســـراطهم ... بيـــن اليمين وبيـــن أيســـر ضاربِ
ويرصهـــم بيـــن الجوانـــب يبتغي ... وضعَ الشـــواهدِ في الوغى ككتائبِ
وتناقـــص الأصحـــاب عنـــه كأنما ... تتناقـــص الأوراد بيـــن نوائـــب
منعـــوا الوضوء عن الصـــلاة بمنعهم ... ذخـــر النبـــوة مـــن معينٍ ســـاربِ
نقضوا وضـــوء الفجر ثـــم صلاتها ... بظمـــا الحقيقـــة وارتـــواءٍ كاذبِ

* * *

وإذا بنافلـــة الحســـين تقطّعـــت ... ســـجَداتها وركوعهـــا بتنـــاوبِ
وبســـهم حرملـــةَ اللئيـــمِ تلعثمت ... تكبيـــرة الإحرام صرخـــة غاضبِ
قتلوا صـــلاة الفجرِ حيـــن تجرّؤوا ... من خاتم الأســـباطِ نســـلَ أطايبِ
وبقـــت صـــلاة الفجر ملقـــاة على ... حـــرِّ الصَّعيـــد محاطـــةً بلواهبِ
تلـــك الصـــلاة تناثـــرت أوصالها ... ما بيـــن خاصـــرةٍ وبيـــن مناكبِ

* * *

وغـــدا التشـــهد والســـلام كخنصرٍ ... قـــد زان خاتمـــه بحســـنِ تجاذبِ
قطعوا الســـلام من التشـــهد وانثنوا ... نحـــو الفـــروضِ بقســـوةٍ و تراتبِ
وبغصـــب خاتـــم خنصرٍ بقســـاوةٍ ... بتـــروا الســـلام لبترِ آخـــر واجبِ
وعقـــارب الزمن العجـــولِ توقّفت ... فلقد أصاب القلبَ ســـهمُ نواصبِ
ســـهمٌ بذي شـــعبٍ ثـــلاثٍ أوقفت ... زمنـــاً يُوَقَّـــت فجـــره بعقـــاربِ

* * *

فتوسّـــد الدمعات وافتـــرش الدما ... لينام من فـــوق المـــدى المتثائِبِ
والصـــدر مضمارُ السِّـــباق لفوزهم ... بوســـامِ جائـــزةٍ لِأَلْأَمَ لاعـــب
رفعـــوا الرؤوس على الأســـنة مثلما ... قد حاربوا، رفعوا الهـــدى بمراتبِ
رفعوا الحقيقة حيـــن أعلوا رأس من ... أوداجـــه قُطِعت بســـيف محاربِ
رأس تعلَّـــى فـــي القنـــاة لتعتلـــي ... قِيَـــمٌ ترتِّـــلُ كهف كنـــز عجائبِ

* * *

رأس يرتّــل جبرئيــل بثغــرهِ ... لتــردد الأفــلاك لحــن نــوادبِ
فيدور حــول الــرأس كلُّ مقدّسٍ ... وتطوفــه الأفلاك طــوف مواكبِ
وتفاخــر القيــد المكبّل فــي يَدٍ ... فلقد أحاطــت جســمهم بقوالبِ
وتفاخــرت في أنها رســمت على ... جَسَــدِ الهدى بسلاســلٍ ومخالبِ
وصــدى القيود إذا تعاظــمَ صوتها ... أوحــت تراتيــل الســماء لناحبِ

* * *

الهوامش:
(١) أسرى: مشى ليلاً (لسان العرب).
(٢) سَرْيٌ: الكشف، نحو كشف ثوبه(لسان العرب)، والمشي ليلاً(المحيط).

الإصلاح ..

في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام

الحسين عليه السلام أبي الضيم أنموذجاً ..

الدكتور الشيخ وفقان الكعبي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

أبي الضيم:

الأصل اللغوي: الفعل الثلاثي (أبى) يشتق منه الإباء، وهو يعني: الامتناع يقال: رجلُ إباءٍ إذا أبى أن يضام[1]، ويوصف الشخص بأنه ذو إباء شديد، إذا كان ممتنعًا[2].

وعلى المعنى: يطلق على سيد الشهداء عليه السلام هذا اللقب، أي ممتنع عليه أن يضام ببيعة ظالم في عصره وزمنه، ويبقى هو الأصل الشامخ، والمتعالي والممتنع عن دنس بيعة الظالمين.

ولمّا آلت إليه الإمامة والولاية، وأبى أن يبايع لمعاوية بعد غدر الصلح ونقضه منه، وهلاكه وإتيان يزيد، صدر روح الإباء منه. فروح الثورة وهمة الثوار عاشت معه وصارت في دمه إلى يوم شهادته.

هدف اللقب

تتشابه الأسماء في كل مجتمع، لأنها في الغالب نابعة من ثقافة واحدة: ثقافة ذلك المجتمع، وتأريخ المشترك بين الشعوب.

وكذلك تشترك الكنى في كل مجتمع، وهنا تبرز الحاجة إلى ما يميز بين مسمى وآخر، فتظهر أهمية الألقاب في الميدان الاجتماعي.

والألقاب تنقسم إلى قسمين: لقب حسن وجميل ومحبوب، ولقب سيّيء وقبيح ومكروه.

وقد نهى الإسلام عن التنابز بسيئ الألقاب قال تعالى: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[3].

ومن المعروف أخلاقيًا أن الألقاب والأوصاف قد تطلق على الشخص في حياته وينادى بها، وقد يطلق عليه لقب بعد وفاته وشهادته من قبل المؤرخين والناس.

وأبي الضيم، أطلق على الحسين عليه السلام بعد شهادته، ونتج ذلك من أقواله ومواقفه وأحواله، فقد اتخذ الحسين عليه السلام الإباء وصفًا له وإعدادًا وتنظيمًا وتوجيهًا وإعلامًا في حياته.

ويمكن للمتأمل في سلوك الأولياء أن يجد ظاهرة اجتماعية ذات رؤية إيمانية متأصلة في تلك الشخصية الطيبة والطاهرة، أعطت انطباعًا رائعًا عن هذه الأوصاف والكمالات. ومن هؤلاء الأولياء سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام، إذ أعطت شخصيته الرائعة مجموعة من الدروس الإيمانية والروحية في الثورة والإباء، بل امتدت روح النضال لأنصاره وأحبائه وشيعته حتى استبسلوا ووقفوا معه، وتنور لهم الطريق، وبذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام. وستأتي الإشارة لهذه الفكرة تفصيلًا.

هدف وغاية الإباء

الهدف الأسمى عند الحسين عليه السلام، هو إحقاق الحق وإقامة العدل الواقعي الناصع، لا ما يزعم أعداء الدين المعادون أنه عدل، وفي الواقع هو الظلم والجور بعينه.

الصورة في كربلاء حسينية، هي عدم التسليم ولا الاستسلام لحومة الجور والضلالة. على ما قال الإمام الحسين عليه السلام (لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل..)[٤].

وهي صورة التغيير نحو الأفضل والأحسن لا لظلم جديد بثوب ولون آخَرَين.

فإقامة العدل بمستوياته كافة، الأدنى والأعلى، هو الهدف الإسلامي الحر النبيل.

وهناك غاية وهدف بل غايات وأهداف أخرى، هو أن إباء الحسين عليه السلام مدرسة للأجيال والشعوب لتربية النفوس، وإحياء حس الإيمان في القلوب، وتوظيف كل القوى نحو تطبيق الحق والعدل، والتصدي بالقول والفعل للانحراف الاجتماعي، والظلم، والاستبداد، والاستعمار بكل أساليبه. ولابد من الالتفات إلى إضافة أخرى: هي خوف الظالمين من شعار الطلب (يا لثارات الحسين)، وهذا الصوت يقضي على عروشهم بل قضى به عليهم.

وأهل الإيمان ضحوا بالدماء الطاهرة الزكية للقضاء على ظلم الظالمين. ونالوا الدرجات العالية من مراتب الشهداء (أَحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون).

روي عن النبي صلى الله عليه وآله يخاطب الحسين عليه السلام: (إن لك درجة لن تنالها إلا بالشهادة)[٥].

بل هو واجب شرعي أدوه، وبأسلوب فقهي حسيني من الواجب الشرعي على كل

مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(إني لم أخرج أشرًا، ولا بطرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ وأبي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر..)[٦].

وكما قال الحسين عليه السلام في كلمته: (أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله ناكثًا عهده، مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله، ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله..)[٧].

إباء الحسين عليه السلام علاج لأمراض المجتمع

إن المجتمع الإسلامي والإنساني يصاب بأمراض اجتماعية وتربوية تحتاج لعلاج ومناعة تدفع بقوة عن الإصابة بهما.

المرض الأول: موت الضمير الواعي، وضمير ساكن وصامت.

فقدان الإرادة والإقدام والتضحية.

فإذا أصيب الكيان الإنساني بفقدان الضمير الواعي، والإرادة العالية والأبية فلا يتقدم نحو الخير والسعادة ولا يصل لأهدافه وغاياته.

فواجه إباء الحسين عليه السلام هذا الخطر المحيط بالأمة في زمنه، وكل زمن، ومن أهم أسبابه: الإعلام الظالم والدعاية وتخدير الشعوب وسكوتها.

ولذا خَلَّدَ الحسين عليه السلام قوله: (مثلي لا يبايع مثله)[٨]، فعلى من يقتدي بهدى الحسين عليه السلام الاستفادة من حركة الحسين عليه السلام في إيقاظ ضمير الأمة وإحيائها. وقد فعل الثوار ذلك أمثال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام في الكوفة، والحسين صاحب وقعة فخ، وغيرهم الكثير، ممن ترجم لهم ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة[٩].

شعار الحسين عليه السلام

إباء الحسين عليه السلام وصف لازم، وقد بين في علم الحكمة والمنطق، أن الأوصاف منها ما تزول وتفنى، ومنها ما تبقى وتدوم، وأما وصف الإباء عن الضيم فهو دائم، ولازم لا ينفك عن حقيقة حركة الحسين عليه السلام، وكان من أهم ألقابه.

قال الشيخ باقر شريف القرشي: (الصفة البارزة من نزعات الإمام الحسين عليه السلام الإباء عن الضيم حتى لقب (بأبي الضيم)، وهي من أعظم ألقابه ذيوعًا وانتشارًا بين الناس، فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة فهو الذي رفع شعار الكرامة الإنسانية ورسم طريق الشرف والعزة، فلم يخنع، ولم يخضع لقرود بني أمية، وآثر الموت تحت ظلال الأسنة)[١٠].

ووصفه المؤرخ الشهير اليعقوبي: (بأنه شديد العز)[١١]. ويمكن أن تنطبق الآية الشريفة، قال تعالى: (.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[١٢].

فحدد القرآن العزة لله تعالى والرسول ﷺ والمؤمنين ومن أبرز مصاديق الإيمان الأئمة ومنهم سيد الآباء الحسين عليه السلام فلا يبقى لغيرهم إلا الذلة والجهالة[١٣].

والمؤمن عزيز النفس، وينبغي أن لا يذل نفسه وتبقى أبية عن الضيم والدناءة، فهنا جانبان مهمان: عزة النفس، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، ألم تر قول الله سبحانه وتعالى هاهنا (.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)[١٤].

والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزًا، ولا يكون ذليلًا)[١٥].

فتقول: هل يذل الإنسان نفسه، نعم وله موارد كثيرة في الحياة ومنها: أن يقول شيئًا وبعدها يعتذر منه ويتأسف عليه، فلا يذل نفسه، روي عن أبي عبد الله عليه السلام: (لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قلت: بما يذل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه)[١٦].

وقال ابن أبي الحديد: (سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية، والموت تحت ظلال السيوف اختيارًا على الدنيَّة..عرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذل، .. فاختار الموت على ذلك)[١٧].

فقد علَّم أبو الأحرار الناس نبل الإباء وفداء التضحية،فقال مصعب بن الزبير: (واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة)[١٨].

ولا نذهب بعيدًا لما قيل فيه، بل نتبرك بكلماته يوم الطف فهي من أروع ما أثر من بلاغة الخطاب والكلام العربي في تصوير العزة والمنعة.(ألا وإن الدعي ابن الدعي - عبيد الله بن زياد -، قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[١٩].

فهذه الكلمات تعبر عن أعلى مواقف المبادئ، والقيم التي تعني العزة والإباء وتعلمها البشرية حتى ترقى إليها. ويؤكد الحسين عليه السلام ثباته على المبدأ مؤثرًا في سبيله القتل والفداء والتضحية على الحياة.

وقف الحسين عليه السلام مناديًا أمام هؤلاء الأشرار: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون)[٢٠].

ونبين بعض النقاط:

- الاختلاف في ألفاظ الرواية (أقر أو أفر) فهي بين عزة المؤمنين وإقرار العبيد، فهنا خط للحياة والعمل هو إذا أراد أن يبايع شخصًا آخر، ويضع يده بيده أن يكون في موضع العزة والكرامة -، وهنا مصطلح بيعة - عهد، عقد، انتخاب، كلها عناوين لهدف واحد.

فقال سيد الشهداء عليه السلام: (إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برمًا)[٢١].

وهناك أقوال أخرى منها: (مثلي لا يبايع مثله)[٢٢].

الثبات على المبدأ (إباء) وعقيدة:

وهناك وصف يتحد معنىً مع هذا الوصف (أبي الضيم)، وهو الثبات على المبدأ،وهو بحث أخلاقي بيِّنْ في كتب الأخلاق.

للنظم والمبادئ أهمية كبرى، وأثر بالغ في حياة الأمم والشعوب، لذا كان الثبات على المبدأ الحق من أقدس واجبات الأمة وفروضها الحتمية، ولم يوجد في البشرية أكمل وأفضل من مبادئ الإسلام لأنها مع الفطرة، وتكفل السعادة في الدنيا والآخرة.

ومدح القرآن المؤمنين الذين تمسكوا بالقيم والمثل العليا في الإيمان، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)[٢٣].

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، المثل الأعلى في الثبات على المبدأ وحمايته، والتضحية في سبيله، بأعز النفوس والأرواح.

وهذا سيد الشهداء عليه السلام وأبي الضيم يرفع لواء الشهادة يوم عاشوراء ويعلن شموخه بكلماته الخالدة في مسامع الدهر.

وهكذا اتبعه أهل بيته وأنصاره على نهجه ومثاله في الثبات على المبدأ والصمود، والفداء بالنفوس والشواهد على ذلك كثير

في يوم عاشوراء حتى الأطفال والنساء. ولو نسمع ما قال: علي الأكبر عليه السلام (.. لا أراك الله سوءًا ألسنا على الحق؟

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، فقال: يا أبت إذن لا نبالي أن نموت محقين! فقال عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدًا من والده..)[٢٤].

ويقدمون أروع مفاهيم البطولة والشهادة حتى كانوا المثل الباقي على مر الدهور والأزمان.

الأدب يؤرخ الإباء له

قد أرخ كثير من الشعراء والأدباء إباء الحسين عليه السلام، بل أن الإمام الحسين عليه السلام نفسه خَلَّدَ ذلك بأقواله.

وقال الحسين عليه السلام: (موت في عز خير من حياة في ذل)[٢٥].

وفي أرجوزة الحسين عليه السلام

الموت خير من ركوب العار.. والعار أولى من دخول النار.. والله ما هذا وهذا جاري[٢٦].

وقال عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقًا (خيرًا) وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبورًا وودع مجرما[٢٧]
فإن عشت لم أندم (أذمم) وإن مت لم أُلم
كفى بك ذلًا أن تعيش وترغما[٢٨]

النتيجة: أن سيد الشهداء ربى الأمة على شيم الأخلاق ومعالي الأمور ومنها: الإباء عن الضيم، والوقوف ضد الظالمين، ورفع صوت المطالبة بالحقوق للمستضعفين في كل مكان وزمان.

الهوامش:

(١) لسان العرب: ٤٢/١ مادة أبى.
(٢) مجمع البحرين: ١٠٥/٦.
(٣) سورة الحجرات: ١١.
(٤) مقتل المقرم: ٢٧٥.
(٥) بحار الأنوار: ١٢٥/٤٤.
(٦) مقتل العوالم: ٥٤؛ مقتل الخوارزمي: ١٨٨/١ فصل ٩؛ مقتل المقرم: ١٥١.
(٧) بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٤؛ أمالي الصدوق: ١٤٢؛ حياة الإمام الحسين: ١٣/١.
(٨) بحار الأنوار: ٣٢٥/٤٤.
(٩) شرح نهج البلاغة: ٢٠٣/١.
(١٠) حياة الإمام الحسين: ١١٣/١.
(١١) تاريخ اليعقوبي: ٢٩٣/٢.
(١٢) سورة المنافقون: ٨.
(١٣) الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٧/١٩.
(١٤) سورة المنافقون: ٨.
(١٥) أصول الكافي: ٢٤٣/٢.
(١٦) أصول الكافي: ٢٤٣/٢.
(١٧) شرح نهج البلاغة: ٣٠٢/١؛ المجالس السنية: ٣٤٥/٣.
(١٨) تاريخ الأمم والملوك: ٢٧٣/٦؛ حياة الإمام الحسين: ١١٤/١.
(١٩) الاحتجاج: ٢٤/٢؛ مقتل الخوارزمي: ٦/٢؛ أعيان الشيعة: ٦٠٣/١؛ مقتل الحسين - المقرم: ٢٨٢؛ نفس المهموم:١٢١.
(٢٠) تاريخ الأمم والملوك: ٢٧٥/٦؛ إعلام الورى: ٤٥٩/١؛ أعيان الشيعة: ٦٠٢/١؛ مقتل المقرم: ٢٨٠؛ بحار الأنوار: ٣٧/٧/٤٥.
(٢١) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.
(٢٢) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.
(٢٣) سورة فصلت: ٣١-٣١.
(٢٤) تاريخ الأمم والملوك: ٢٣١/٦؛ مقتل الخوارزمي: ٢٢٦/١؛ مقتل المقرم: ٢٢٥.
(٢٥) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.
(٢٦) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.
(٢٧) فارق مذموماً وخالف مجرماً اختلاف في ألفاظ البيت. مقتل المقرم: ٢١٦.
(٢٨) مناقب آل أبي طالب: ٦٨/٤؛ بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤؛ معالي السبطين: ق١٨٦.

رواية في الطف

* (عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحبًا، وضمه وقبله، وقال: حقر الله من حقركم وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليًا وحافظًا وناصرًا، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء. ثم بكى وقال:

يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولْد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم واليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق، أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة.

وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتًا من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلي يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائمًا وجلا حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة).

كامل الزيارات لابن قولويه: ١٧١

أثر القرآن في مراثي الشيخ صالح الكواز الحلي

- د. علي كاظم المصلاوي
- م. كريمة نوماس المدني

جامعة كربلاء

ينابيع

يعد القرآن مرجعاً مهماً للشاعر يلجأ إليه ليُتزود منه كثيراً من تقنيات الأسلوب والصورة والألفاظ، ومن ثم فان ظهور القرآن في النصوص الإبداعية وتغلغله فيها أمرٌ يكاد لا يستثنى منه أي ديوان شعر عربي منذ نزوله حتى الآن مع اختلاف نسبة تكثيفه في هذا الديوان أو ذلك.

وهذا الأمر يساعد المتلقي على تفهم خلفية النص المرسل بوصف القرآن مرجعاً عاماً للمسلمين وأتاح للشاعر تشكيل صورة منه ما يتوافق وتلك الخلفية. ومثلت طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي - وهي قصائده في رثاء الحسين بن علي عليه السلام وبقية الشهداء منعطفاً مهماً في توضيف الشاعر لآي القرآن بما يجلب انتباه المتلقي ويثير فيه الإعجاب والتأمل، فقد كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه، مستغلاً إياها ي تشكيل صورة وتحريكها بفعالية عالية، فهو يربط بين النصوص القرآنية أحداثاً وشخوصاً وقصصاً مع ما جرى في واقعة الطف الأليمة، يقول عنه جامع ديوانه الشيخ محمد علي اليعقوبي: (نجده يمتاز عن شعر غيره ممن عاصره أو تقدم عليه أو تأخر عنه قيماً أو دعه من التلميح بل التصريح على الأغلب إلى حوادث تأريخية، وقصص نبوية، وأمثال سائرة ليتخلّص منها إلى فاجعة الطف مما يحوج القارئ إلى الإلمام بكثير من القضايا والوقائع ومراجعة الكتب التأريخية..)[1]. وكان الاتكاء على القرآن الكريم أحداثاً وشخوصاً وقصصاً هو الأبرز من حيث التوظيف والأوضح الذي عمد إليه الشاعر في طفياته، وجاء البحث ليكشف عن أبعاد هذا الظاهرة.

شيء من حياة الشيخ صالح الكواز ومنزلته الأدبية:

هو الشيخ صالح بن مهدي بن حمزة آل نوح من قبيلة الخضيرات إحدى عشائر شمر المعروفة في نجد والعراق[٢]، وشهرته بالكواز لأنها كانت مهنة أبيه إذ كان يعتاش على بيع الكيزان والجرار والأواني الخزفية[٣]، وكانت ولادته في الحلة سنة (١٢٣٣هـ) الموافق (١٨٤٦م)[٤]، ونشأ وترعرع فيها لذلك لقب بالحلي.

اشتهر الشيخ صالح بتدينه وما تابع ذلك من ورع وتقوى حتى أنه كان يقيم الجماعة في أحد مساجد الحلة[٥] مما يعني ذلك السمعة الطيبة والأخلاق الإسلامية التي تمتع بها أهّلته لأن يكون رجل دين بارز فضلاً عن كونه شاعراً ملتزماً بخطه الإسلامي. أما ثقافته فتخبرنا لمصادر أنه على جانب عظيم من الفضل والتضلع في علمي النحو والأدب[٦]، فقد درس علوم العربية والشريعة الإسلامية على يد الشيخ علي العذاري والشيخ حسن الفلوجي والسيد مهدي داود[٧]، ومن أشهر أساتذته السيد مهدي القزويني الذي له مدائح[٨].

وفضلاً عن ذلك فأن المطالع ديوانه يلمس ثقافة واضطلاعاً غير قليل على علوم العربية والتاريخ والمنطق والفقه والعقائد بشكل واضح، وإذا ما نظرنا إلى ما قاله معاصره السيد حيدر الحلي رجل الدين والأب في حقه لتبين لنا منزلة شاعرنا وما كان يتمتع به من مواهب وإبداع، فقد قال عنه في تصديره إحدى قصائد المترجم في كتابه (دمية القصر) المخطوط ما نصه: (أطول الشعراء باعاً في الشعر وأثقبهم فكراً في انتقاء لئالي النظم والنثر خطيب مجمعة الأدباء والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء) وقال عنه أيضاً في الكتاب المذكور: (فريد الدهر وواحد العصر الذي سجدت لعظيم بلاغته جباه أقلامه واعترفت بفصاحته فضلاء عصره وأيامه وفاق بترصيع نظامه وتطريز كلامه أرباب الأدب من ذوي الرتب)[٩].

فالذي نستشفه من هذا الإطراء الكبير أموراً عدة أهمها تقدم الشيخ صالح الكواز الحلي على شعراء زمانه بما امتلك من إمكانيات فتية ولغوية تمتع بها شعره مما أهّله لأن يكون فريد دهره وواحد عصره،

والأمر الآخر تقدمه بالخطابة والفصاحة، ولعل هذه الأمور أو الأوصاف تنطبق على شخصية لامعة بالشعر والخطابة ومشهورة بالعلم والفضل. وكانت له صلات مع باقي شعراء عصره البارزين، أمثال السيد حيد الحلي، وعبد الباقي العمري، وعبد الغفار الأخرس فضلاً عن اشتهار قصائده وبخاصة (الطفيات) في المحافل الحسينية وإنشاد الخطباء لها في المناسبات الدينية، وكانت منابر بغداد والحلة والنجف وكربلاء والبصرة تصدح بها[10].

كان الشاعر معدوداً من المكثرين، إلا أن ديوانه لم يصل إلينا، والذي بقي منه جمعه الشيخ محمد علي اليعقوبي وأصدره في ديوان وسمه (بديوان الشيخ صالح الكواز الحلي) وقد وقع في ألف وخمسمائة بيت شعري، فضلاً عن قيامه بترجمة وافية له[11]. أما وفاته رحمه الله فأشارت المصادر إلى أنها في سنة (١٩٢١هـ) والموافق (١٩٠٣م) في الحلة، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن هناك، وأقيم له مجلس عزاء مهيب يليق بهذه الشخصية الحسينية، ورثاه جمع من شعراء عصره كان في مقدمتهم السيد حيدر الحلي حيث رثاه بقصيدة طويلة ملؤها الأسى والتأسف لفقده وأشاد فيها بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة مع إشادته بحسن شعره واشتهاره فنراه يقول[12]:

ثكل أم القريض فيك عظيم
ولأم الصلاح أعظم ثكلا
قد لعمري أفنيت عمرك نسكاً
وشحنت الزمان فرضاً ونفلا
إن تعش عاطلاً فكم لك نظم
بات جيد الزمان قيد محلى
ولك السائرات شرقاً وغرباً
جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا
كم قرعن الأسماع بيتاً فبيتاً
فأفضن العيون سجلاً فسجلا

* * *

توظيف الشاعر لآيات القرآن وأثرها في بناء القصيدة:

لا ريب في أن أي نص إبداعي يحمل في جذوره كثيراً من النصوص الأدبية المعروفة التي سبقته أو التي عاصرته مع اختلاف في هيمنة أو سيادة هذا النص أو ذاك على نتاجه مما يعني تأثير ذلك النص على الشاعر واستحضاره في شعوره أكبر وأقوى من النصوص الأخرى. إن هذا التأثرية تتم عند الشاعر بقصد أو من دون قصد للإفادة مما هو متوافر لديه من مصادر ثقافية متنوعة، تعينه على تشكيل نصه الإبداعي باللغة ويعد القرآن الكريم واحداً من أكبر وأهم تلك المصادر التي يتوسل الشاعر بها في صياغة نصه الإبداعي وإخراجه، مستفيداً منه في الأسلوب والبناء والموضوع والفكرة.وإذا ما دققنا النظر في طفيات الشيخ صالح فإننا نجدها مترعة بالقرآن. فقد وظف الشاعر القرآن في خدمة قضيته الحسينية وكان ينظر غلى القرآن من خلال قضيته تلك، لذا كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه، ومن ثم لم تتنافس معها نصوص إبداعية أخرى ويبدو أن الشاعر وجد في الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وما جرى عليهم في تلك الواقعة أمراً لا يماثله أو يقارنه إلا ما وجد في القرآن وما حواه من نماذج سامية يمكن التمثل بها، وأن هذه القصدية والإلحاح الواضحين عند قراءة الطفيات تدفعنا إلى القول بأن الشاعر

كان يرى في الحسين القرآن وفي القرآن الحسين، ولا غرو أن آمن الشاعر بهذا الاعتقاد وترسخ في ضميره ووجدانه، وبخاصة إذا علمنا مقولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (أنا القرآن الناطق)[١٣]. فيتضح لنا أبعاد تعامل الشاعر من النص القرآني، فالحسين عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي يس فقط لأبيه بل لجدّه أيضاً، ومن ثم فهو الامتداد الحقيقي لرسالة السماء، وكذلك آمن الشيعة بأئمتهم الاثنى عشر من حيث تمثلهم بالحجج الإلهية على الخلق أجمعين، والقرآن حجة على الخلق أيضاً.

إن رؤية الشيعة ـ والشاعر أحدهم ـ في الحسين عليه السلام وموقفه يوم عاشوراء على أنه موقف قل نظيره إن لم ينعدم في تاريخ الإنسانية فالذي قدمه الحسين عليه السلام باستشهاده أحيى سنن الإله وشرائعه التي أنزلها على أنبيائه جميعاً ومن ثم كان الحسين عليه السلام ملخصاً لفحوى ما جاؤوا به وبعثوا من أجله، إن هذا الفهم لطبيعة الاعتقاد عند الشاعر تجعلنا لا نستغرب أو نتعجب مما جاء في أشعاره، فالشاعر ينطلق من اعتقاد من أول القصيدة ليعود إلى اعتقاد آخر في نهايتها ليستكمل حلقة الالتزام الفكري والعقائدي بصورة شعرية: ومن تلك الطفيات المشحونة بالقرآنية قصيدته التي يبدؤها بقوله[١٤]:

لي حزن يعقوب لا ينفك ذا لهب
لصرع نصب عيني لا الدم الكذب
وغلمة من بني عدنان أرسلها
للجد والدها في الحرب لا اللعب

* * *

لقد استقطب الشاعر انتباه المتلقي منذ انطلاقته النصية حين عمد إلى أخذ عينات موضوعية من سورة يوسف عليه السلام وربطها بصورة موضوعية أخرى حدثت

في واقعة الطف، وبدأ بتشبيه حزنه بحزن يعقوب على يوسف عليهما السلام، حين جاء أخوته إبيهم على قميصه بدم كذب ليأكّدوا مصرعه على يد الذئب وهذا واضح في قوله تعالى: (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...)[١٥]، وهذا المقطع القصصي وظّفهُ الشاعر بصورة لطيفة حين قرنه بنفسه فحزنه ذو لهب متجدد وسببه مصرع سالت منه دماء حقيقية، وليس كالذي من الدم الكذب في قصة يوسف عليه السلام، والجامع بين الصورتين هو (الحزن)، وعمد في البيت الثاني إلى أخذ عينة أخرى من سورة يوسف، إذ قال: (وغلمة من بني عدنان...) وأشار بلفظ (الغلمة) إلى ريعان شبابهم وقوتهم وقد أرسلهم والدهم كناية عن الحسين عليه السلام إلى الحرب لا للعب، وهذا الحدث يقابل إرسال النبي يعقوب عليه السلام ولده يوسف مع أخوته ليرتع ويلعب وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية على لسان أخوة يوسف مخاطبين أباهم بشأنه (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[١٦]، والمفارقة بين الموقفين موقف الحسين عليه السلام وإرسال أولاده وأخوانه إلى الحرب وبين إرسال يعقوب عليه السلام ليوسف بين الصورتين هو (الإرسال).

ثم يأخذ الشاعر عينات قرآنية أخرى، وهذه المرة من قصة موسى عليه السلام فيوظفها في احوال الحسين يوم الطف فهو يقول[١٧]:

وأنسين من الهيجاء نار وغى
في جانب الطف ترمي الشهب بالشهب
فيمموها وفي الإيمان بيض خبا
وما لهم غير نصر الله من إرب
تهش فيها على آساد معركة
هش الكليم على الأغنام للعيش

* * *

فالمقابلة واضحة في البيت الأول مع الآية القرآنية في قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)[18]، وشتان ما بين النارين من الاستئناس والتقرب، وشتان أيضاً بين هش الكليم على أغنامه وذلك في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)[19] وبين هش الحسين وأصحابه في واقعة الطف بسيوفهم المشهورة على أعدائهم.

ويتخذ الشيخ صالح من الطرح القرآني رمزاً امتدادياً للمعادين لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله هذا الرمز المتمثل بـ (حمالة الحطب) فنراه يقول[20]:

وصبية من بني الزهراء مربقة
بالحبل بين بني حمالة الحطب

فهؤلاء المعادون للامتداد الرسالي، المتمثل بالصبية من بني الزهراء عليهن السلام، هم الامتداد لبني حمالة الحطب المشار إليهم في قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)[21].

ثم يشير إلى عمق الامتداد الرسالي لبني الزهراء في القرآن فنراه يستدل قائلاً:

ليت الألى أطعموا المسكين قوتهم
وتالييه وهم في غاية السغب
حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم
من الإله لهم في أشرف الكتب

فسورة (الإنسان) التي ابتداها الله تعالى بقوله: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ..)[22] قد نزلت في البيت العلوي وفيها يطعمون المسكين (وتالييه) وهما اليتيم والأسير ولم يدخل في جوفهم طعام قط مدة ثلاثة أيام فأثابهم الله تعالى ذلك بإنزاله سورة

(الإنسان) أو (هل أتى) في حقهم وبيان إكرامه لهم، فاستغل الشاعر هذا الأمر في بيان ما حل بأولادهم وأحفادهم على يد أعدائهم المتمثلين ببني حمالة الحطب وبيّن الفرق الامتدادي بصورة قرآنية، وهذه الصورة المصطنعة بأسلوب المقارنة تبعث المتلقي على الحزن والبكاء، وأيضاً تبعثه على الغضب والثورة على من فعل مثل هذه الأفعال الشنيعة بأهل بيت الرسالة، وكذلك نراه في قول مشبهاً وقوع الحسين عليه السلام على أرض معركة الطف، ورفع رأسه على الرمح بصورة قرآنية تدعوا إلى الإعجاب والاندهاش، كقوله[٢٣]:

كأن جسمك موسى مذ هوى صعقاً
وإن رأسك (روح الله) قد رفعا

* * *

فصدر البيت يرجع بنا إلى قوله تعالى: (وَخَرَّ موسَى صَعِقاً)[٢٤] (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّه إِلَيْهِ)[٢٥]، على أن مثل هكذا صور دقيقة الأبعاد تحتاج إلى متأمل ومتفحص حتى يدرك طبيعة التقارب والتشابه بين طرفي التشبيه، ومدى التباعد المعمق في هذا التقارب الظاهري وعليه فمتلقي هذه الصورة يعجب بها ومن ثم يذهب ذهنه ليرصد طبيعة تحركها في داخله، وما يثيره هذا التحرك من انفعال وما يجسد من شعور. ويستعمل أيضاً الشاعر أسماء بعض السور ويحورها لتتلاءم مع ما يطرحه من تصوير فنراه يأخذ اسم (المدثر) و(المزمل) وهما اسمان لسورتين قرآنيتين معروفتين ويوظفهما بصورة لا تخلو من إبداع فهو يقول واصفاً شهداء الطف[٢٦]:

مدثرين بكربلاء سلب القنا
مزملين على الربى بدماء

* * *

وفي نهاية المطاف كان لتنوع الآليات القرآنية واستثمارها في بناء القصيدة أثره في تشكيل جديد للقصيدة اختلف عما هو معروف في بنائها المعتاد، الأمر الذي نعده ملمحاً أو اتجاهاً تفرد به الشاعر الحلي.

هوامش البحث:

(١) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٨.
(٢) البابليات: ٢/ ٨٧ وديوان الشيخ صالح: ٤.
(٣) أدب الطف: ٧/ ٢١٤- ٢١٥، وديوان الشيخ صالح: ٥.
(٤) البابليات: ٢/ ٨٧، ومشاهير شعراء الشيعة: ٢/ ٣١٦، وديوان الشيخ صالح: ٤.
(٥) بنظر مثير الأحزان: ٢٨٠ وديوان الشيخ صالح: ٦.
(٦) بنظر ديوان الشيخ صالح: ٤.

(٧) معجم الشعراء العراقيين: ١٨٠.
(٨) ينظر ديوان الشيخ صالح: ٥١/ ٦٧/ ٦٨/ ٧٠/ ٩٨.
(٩) المصدر السابق: ٧- ٨.
(١٠) المصدر نفسه: ٨، ص١٢- ١٣.
(١١) المصدر نفسه: ١٣- ١٤.
(١٢) ديوان السيد حيد الحلي: ٢/ ١٣٧.
(١٣) ينابيع المودة: ١/ ٢١٤.
(١٤) ديوان الشيخ صالح: ٢٤.
(١٥) يوسف: ١٨.
(١٦) يوسف: ١٢.
(١٧) ديوان الشيخ صالح: ٢٤.
(١٨) القصص: ٢٩.
(١٩) صورة: ١٨.
(٢٠) ديوان الشيخ صالح: ٢٦.
(٢١) المسد: ٤- ٥.
(٢٢) الإنسان: ١.
(٢٣) ديوان الشيخ صالح: ٣١.
(٢٤) الأعراف.
(٢٥) النساء ١٥٧- ١٥٨.
(٢٦) ديون الشيخ صالح: ١٨.

المصادر:

(١) أدب الطف جواد شبر ط١ بيروت ١٤٢٢هـ
(٢) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي عني بجمعه وشرحه وترجمة أعلامه وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيه: محمد علي اليعقوبي ط١ منشورات مكتبه ومطبعة الحيدرية النجف ١٣٤٨هـ.
(٣) البابليات محمد علي اليعقوبي ط٢ دار البيان مصر ١٩٥١م.
(٤) مشاهير شعراء الشيعة عبد الحسين الشيشتري ط٢ ستارة قم ١٤٢١هـ.
(٥) مثير الأحزان الشيخ شريف الجواهري ط١ دار المحجة البيضاء بيروت ١٤٣٢هـ.
(٦) معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع جعفر صادق حمودي التميمي ط١ بغداد ١٩٩١م.
(٧) ينابيع المودة لذوي القربى سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ) تحقيق سيد علي جمال أشرف حسيني ط٢ دار الأسوة للطباعة والنشر ١٤١٦هـ.
(٨) ديوان السيد حيدر الحلي تحقيق على الخاقاني ط٤ منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٤هـ.

النهضة الحسينية وبعض من آثارها

م. فارس عطية الحداد •
المعهد التقني ـ النجف الأشرف

ينابيع لقد بدأ المصلح الإلهي العظيم الإمام الحسين بن علي عليه السلام، الذي هو الامتداد الطبيعي والشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله ومنقذ شريعة جده من الزوال، نهضته المقدسة بعدد من الخطابات التي وضحت استراتيجيات النهضة وأهدافها، ومن هذه الأهداف إحياء الأمم والشعوب.

ففي أول خطاب له وجهه إلى جيش الأعداء وهو لا يزال في طريقه نحو العراق، ألقاه على الحر الرياحي وجيشه، قال عليه السلام:

(أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلًا لحُرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفاً لسُنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخِله مُدخَلَهُ)، صحيح أن الإمام تكلم مع جيش الحر، إلا أننا نرى الخطاب موجه إلى الناس كافة، بقوله (أيها الناس)، وهو بذلك أراد أن يبين حكم ونهجُ سنّةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله بعث إلى الناس كافة لا لأمة دون أمة، وهذا الخطاب موجه إلى الأمم التي قد تتعرض لحكم الظالمين، فينبغي عليهم التحرك لتغيير واقعهم بفعل أو قول.

ومن خلال نتائج النهضة الحسينية يتبين لنا أن هذه النهضة ألقت بظلالها على كثير من الأمم والشعوب عبر التاريخ، وكانت لها آثار واضحة في تجارب الأمم غير الإسلامية فضلًا عن الشعوب الإسلامية في التأثر بها والاستفادة منها، فعلى سبيل المثال لا الحصر يصرح المهاتما غاندي محرر الهند الذي هو هندوسي العقيدة، بقوله:

(تعلمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فأنتصر)، وهذا الباحث الإنكليزي - جون أشر، يقول:

(إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي).

وكذلك المفكر المسيحي أنطوان بارا يقول في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي):

(آثر الحسين عليه السلام صلاح أمة جده الإنسانية الهادية بالحق العادلة به على حياته، فكان في عاشوراء رمزاً لضمير الأديان على مر العصور).

فكان لنهضة الحسين عليه السلام أثر في بناء شخصية تلك الشعوب عن طريق تربية قادة تلك الشعوب واستفادتهم منها كما صرحوا هم بذلك، ولو أردنا إيراد الشواهد لطال بنا المقام.

فالقارئ لتاريخ الأمة الإسلامية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وحتى يوم عاشوراء، يرى بكل وضوح أن الأمة قد أصيبت بأمراض اجتماعية خطيرة جداً جعلتها فاقدة لوعيها السياسي والاجتماعي، وأدت حالة التخدير التي عاشتها خلال نصف قرن إلى دخولها مرحلة فقدان الإرادة أو ما يسمى بـ (الموت السريري).

فعاشت الأمة وبخاصة إبّان فترة حكم مؤسس الدولة الأموية أشد أنواع الظلم والتنكيل والاستبداد، فلا وجود لمعارضة علنية للحكم ولا وجود رأي للجماهير، وسقطت نظرية الشورى ـ التي يدّعون ـ تماماً، فصادرت السلطة جميع الحقوق، وانتشرت وبسرعة الأوبئة الاجتماعية الخطيرة التي هددت كافة مقومات الأمة إلى حد كبير وانسلخت القيم الأخلاقية لدى طبقات واسعة من الجماهير، فكان لابد من صدمة عنيفة لوعي الأمة تعيد لها شخصيتها التي فقدتها، فكانت واقعة كربلاء.

وهنا بدأ الصبح الحسيني للإسلام بعد الفجر المحمدي، فعلى المستوى الإسلامي أعطت النهضة مشروعية الخروج على الحاكم الجائر وفق قيود وشروط، وجاءت بثقافة سعادة الموت في سبيل الحق والحرية والكرامة (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) ونبذ حياة الذل والهوان،

فأنتجت ردود فعل عظيمة وكبيرة داخل المجتمع الإسلامي، ونرى بوضوح أن النظرية التي تقول أن (الحاكم هو ظل الله في الأرض) سقطت بسرعة على الأقل في نفوس الناس نتيجة الضربة الموجعة التي وجهتها لها كربلاء.

فكان أول خارج على الجلاد بعد يوم عاشوراء هو عبد الله بن عفيف الأزدي وهذه أول الثمار لعودة الوعي بعد الصدمة، ثم موقف الرجل الشامي في دمشق، وواقعة الحَرّة، وحركات التوّابين، وثورة المختار الثقفي، وغيرها كثيرة في كُتبُ التأريخ ليس هنا مقام إحصائها، فكانت تلك الثمار سريعة، فقد خرج على الظالم من كان ينسب إلى التشيع ومن لم ينسب له، وكان هناك سخط جماهيري واضح على السلطة وأعلن الكثير من وجوه القوم غضبهم عليها، وهذا السخط وإعلان الشجب للسلطة لم يكن علنياً قبل يوم الطف، وإنما كان محبوساً في الصدور، فأثرت النهضة الحسينية في ضمير الأمة الإسلامية بشكل واضح.

ثم ما لبثت أن أصبحت مثالاً ونبراساً لكل الأمم على وجه المعمورة، وإنجازاً تفتخر به الإنسانية حيث افتخر بذلك من لا يمتون إلى الإسلام بصلة، لأنهم تعلموا من المدرسة الحسينية القيم الإنسانية واستلهموا نداء الإمام عليه السلام للفئة الضالة التي قاتلته:

(إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دينٌ، وَكُنْتُمْ لا تَخافُونَ الْمَعادَ، فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُمْ)، فكل حركات التحرر بعد عاشوراء تعترف بأن قادتها تخرجوا من قسم الحرية في المدرسة الحسينية.

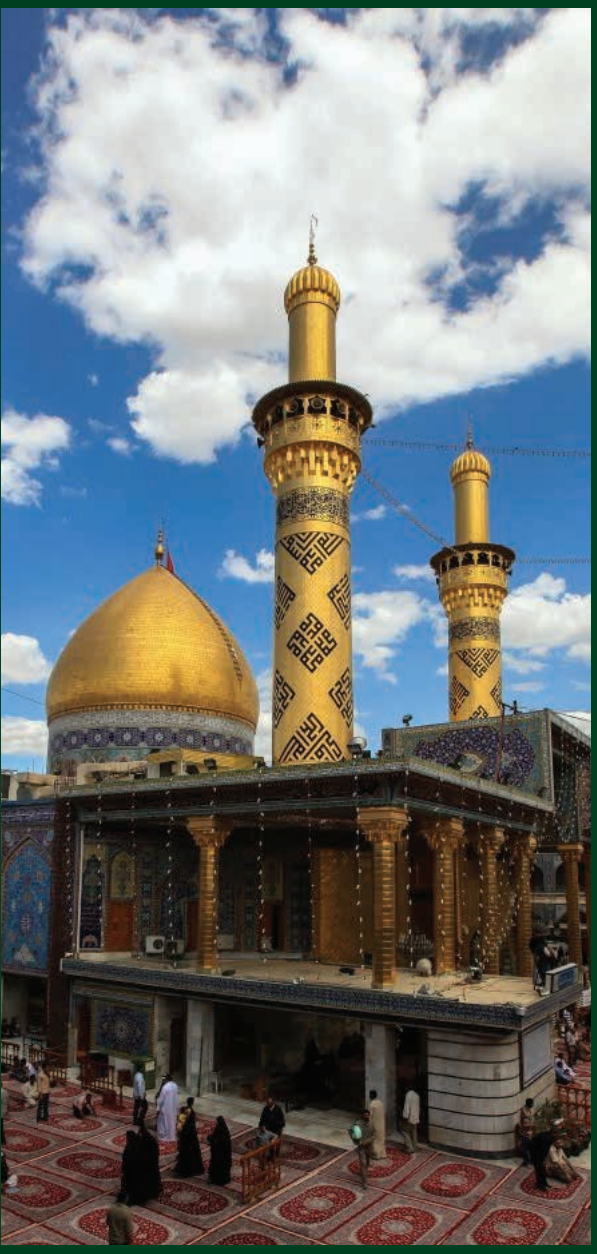

أشعار في الطف

أضحكنـــي الدهـــر وأبـــكاني والدهـــر ذو صرف وألـــوان
لتســـعة بالطـــف قد غـــودروا صـــاروا جميعًـــا رهـــن أكفان
وســـتة لا يتجـــازى بهـــم بنو عـــقيل خيـــر فـــرسان
ثم عـــلي الخيـــر مولاهـــم ذكرهـــم هيـــج أحزانـــي

الكميت

* * *

أفاطـــم لو خلت الحسين مجدلًا وقـــد مات عطشانًا بشط فرات
إذا للطمـــت الخد فاطم عنـــده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفـــاطم قومي يا بنـــة الخير واند بي نجوم ســـماوات بأرض فلاة

دعبل الخزاعي

* * *

مـــررت عـــلى أبيـــات آل محمد فلـــم أرهـــا أمثالها يـــوم حلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد حســـين والبلاد اقشعرت
وإن قتيـــل الطف من آل هاشـــم أذل رقـــاب المســـلمين فذلت
وكانوا رجـــاء ثم عـــادوا رزية لقد عظمت تلـــك الرزايا وجلت

سليمان بن قتة

* * *

الشعائر الحسينية
بين الواقع والطموح
(قراءة تربوية – نفسية)

د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية ـ جامعة ميسان

ينابيع

السلام على من بذكره يذوب قلبي، ويقشعرُّ بدني، وتجتاح دموعي صورته التي رُسمت في عيني... السلام على من حبه يكبر معي كل يوم، ويتردد مع أنفاسي - التي هي خطاي إلى أجلي - ، السلام على من طيب الله به التراب ونوّر الله به الأرض... سيدي ومولاي وحبيبي ونور عيني... أبي عبدالله الحُسينَ عليه السلام.

(يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) (يوسف: ٨٨).

إن الطفل الذي ينشأ في مجتمع شيعي، عندما تبدأ تتفتح مداركه يلاحظ ويشاهد في كل عام وفي مناسبات عديدة شعائر ملازمة للمجتمع الذي يعيش فيه ولا يتخلى عنها أبداً. هذه الشعائر جاءت تعبيراً عن الحزن العميق على استشهاد الحسين عليه السلام فأخذت أطراً مختلفة ما بين الخطب وما تحويه من مواعظ وعبر وقصص تربوية وأخلاقية وتمثيل واقعة الطف بكل معطياتها كما وردت على لسان الرواة ونقال الحادثة وقتذاك، ومواكب عزاء وإقامة الموائد... وغيرها كثير.

وهذه الأمور تعتبر مهمة وذات تأثير في شخصية الفرد لأن فيها الكثير من موارد التنشئة الاجتماعية للفرد كما يسميها المتخصصون في العلوم التربوية والنفسية، و كما هو معلوم فإن الفرد يتأثر بعاملين مهمين هما الوراثة والبيئة التي يعيش عليها طيلة حياته ابتداءً من لحظة تكوينه إلى لحظة وفاته.

وإن ما يحيط بالفرد من مؤثرات أو أساليب في التعامل وغيرها يؤثر فيه بشكل واضح لاكتسابه الكثير من الخبرات التي يكون لها مردودها النفسي في تكوين ذاته ونمو شخصيته[1].

ومن هنا يبرز دور البيئة باعتبارها المكون الثاني والمهم في صياغة وتشكيل الشخصية الأولى للفرد وتحديد الثقة بنفسه وذاته، وتشكيل المفاهيم الاجتماعية والدينية الصالحة لديه.

وإن شخصية الفرد تتأثر بما يمر بها

مــن المواقف والخبرات التي تصاغ نتيجة لذلك شــخصية ســوية أو بالعكــس منها حســب الأســاليب المتبعة معه، ولتكون جزءاً من كيانه الشخصي فيما بعد[٢].

فكلمــا كانــت أســاليب التنشــئة الاجتماعيــة صحيحة تركت أثــراً إيجابياً في تكوين البناء الروحي لشخصية الفرد، وهذا ما تبغيه التربية وتجعله هدفاً لها.

وعليه فإن أساليب التنشئة الاجتماعية تتبايــن مــن مجتمع لآخــر وفقــاً للثقافة السائدة في ذلك المجتمع[٣].

لــذا تعــد التنشــئة الاجتماعيــة مــن الممارســات الاجتماعية وخبراتها المهمة لأن نتاجهــا الأجيــال القادمة من البشــر الذين يعملون على تقدم المجتمع أو تخلفه وعليهم يتوقف نمو حضارتهم[٤].

وإن الشــعائر الحســينية ينفــرد بهــا المجتمع الشــيعي وهي وسيلة خاصة من وســائل بناء الفرد والمجتمع، وأصبحت جــزءًا لا يمكــن اقتطاعه واســتئصاله أو التخلي عنه من جســد المجتمع الشيعي، بالرغم مــن المعارضة الشــديدة من قبل الســلطات الحاكمة الظالمــة التي تحاول في كل مكان وزمان جعل هذه الشعائر في دائرة النســيان، وفي أحيــان كثيرة يدفع الفرد الشــيعي حياته أو يقضي ســنوات عمره في الســجون، لا لشــيء سوى أنه شارك في إحياء هذه الشعائر المباركة.

وبصــرف النظــر عــن ذكــر الجذور الحقيقيــة لمنشــأ الشــعائر الحســينية، لكــن قد نــدرك جميعنــا يعــرف أن أئمة أهل البيت عليهم السلام أوصوا أو وجهوا أو أقاموا هــذه الشــعائر المباركــة، لغــرض إحياء العوامــل الكامنــة وراء استشــهاد الإمام الحســين عليه السلام وأهــل بيتــه وأصحابــه وأن

هدفهم هو الإصلاح الحقيقي في هذه الأمة، ثم لا بد من أن يكون هناك صوتٌ يصدح ليوصل للعالم أجمع هذه الرسالة الخالدة، وما هذا الصوت إلا هو الشعائر الحسينية الخالدة.

ولما كانت هذه الشعائر ذات أهمية تربوية وأخلاقية وفكرية فلا بد من اتباع الأسس العلمية والمنطقية والجمالية في إقامتها وإحيائها، ونسجل هنا بعض الأمور التي ينبغي مراعاتها ـ برأينا ـ عند إقامة هذه الشعائر المباركة:-

* أن تؤدي الشعائر الحسينية دورها في صناعة الفرد وتربيته تربية إسلامية صحيحة واعية تستند إلى أسس ومضامين هادفة لكي تحقق هدفها النبيل بفضل ما تعكسه من قيم روحية ودينية ودنيوية سامية.

* الاهتمام بالنماذج التربوية الخالدة التي تعكس الصفات الصادقة وتعمل على تهذيب وصقل الجانب الروحي لدى الأفراد وخصوصاً الأطفال، وتسهم في بناء شخصيته المثلى وتكون قدوة له في حياته وحركته داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

* اغتنام الشعائر الحسينية في بيان العديد من الأمور الشرعية والعقائدية التي أوضحتها واقعة كربلاء المقدسة من حيث الأصول والفروع، أو من حيث الكيفية التي يجب أن تؤدى فيها هذه الفرائض أو تلك، وبذلك يكون لتوظيف الشعائر الحسينية دور فاعل في تحقيق الهدف المطلوب في إيصال رسالة النهضة الحسينية.

* التركيز على تنمية الجانب الفكري الصحيح، والابتعاد عن التضخيم والتهويل وتجنب الأطروحات غير المسندة وغير المحققة والتي في أحيان كثيرة تجعل من واقعة الطف أسطورة وليس واقعاً كما أراد لها مخططها ومنفذها الإمام الحسين عليه السلام.

* استعراض واقعة الطف كوسيلة معالجة آنية في وقتها ومستقبلية لما تمر به الأمة من أزمات وذلك بسبب احتواء هذه الواقعة على معان ودلالات ذات بعد فكري واجتماعي واقتصادي وسياسي يضمن للأمة الابتعاد عن الانقياد الأعمى والعشوائي لما موجود في الساحة من رؤى وأفكار قد لا تتناغم مع الأطر العامة للإسلام الحقيقي.

* إن الشعائر الحسينية يجب أن توفر محيطاً صالحاً ذا أرضية خصبة للنهضة التربوية الاجتماعية الموضوعية، تكسب الإنسان العديد من الصفات التي يطمح المجتمع أن يوصلها إلى أبنائه ويريد أن يحافظ عليها وينقلها من جيل إلى آخر.

* بيان حالة التلازم الاجتماعي ومبدأ المساواة الذي ارتكزت عليه واقعة الطف في كربلاء وذلك لاحتوائها على العديد من الشواهد التي تجعل من المسلمين كافة في حالة تماسك وتوحد دائم، وكل حسب قدرته وطاقته، فبيان دور المرأة فضلاً عن دور الرجل وبيان دور الأطفال فضلاً عن دور الكبار وإيضاح دور غير المسلمين فيها، يجعل من واقعة الطف عنصراً تربوياً فاعلاً في بيان اللحمة الحقيقية في تبني معطيات المبدأ الحق والدفاع عنه، وإن كان هناك اختلاف في الدين أو العقيدة أو المذهب.

* إدخال عنصر الحداثة الذي لا يتعارض مع الفكر الإسلامي ولا يعطي لواقعة الطف بعدًا آخر ولا يشوه معالمها

الحقيقية، ولا بأس من الاستفادة من الأسس العامة التي يرسمها لنا علماء النفس في الجانب الوجداني، وتضمينها في الشعائر الحسينية بما يلائم المرحلة العمرية لكل فرد، والاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في مخاطبة الآخرين بصيغة حضارية حديثة.

* عرض المستحدثات والمستجدات وموارد الاختلاف على الفقهاء المتخصصين للتأكد من الوقائع والشواهد التاريخية من خلال مراجعة النصوص الروائية المعتبرة والمحققة التي حققت من الباحثين والمحققين المتخصصين.

* التركيز على مبدأ أخذ الدروس والعبر من واقعة الطف وأنها مدرسة تاريخية أعطت ثمارها على مدى حقب وأجيال متتالية، وليس كما يعتقد ويظن و يتخيل البعض أنها حادثة للتألم والبكاء والنوح، نعم فكل هذه الأمور أعطتها واقعة الطف، لكن العطاء الأكبر هو ما حوته من دروس وعِبَر مثالية لبناء الإنسان والمجتمع الصالح والإنسانية جمعاء.

* العمل على زرع الصفات والأخلاق التي تنمي شخصية الفرد وتزرع الثقة في نفسه وتجعله يتبنى ويدافع عن عقيدته وعن المبدأ الذي يلتزمه ويؤمن به، فهذا الحسين عليه السلام مع الخسارة العسكرية الواقعية، وهو في النتائج الحربية قد خسر المعركة في أرض الواقع، لكنه نجح نجاحاً باهراً في الدفاع عن عقيدته وفلسفته ودينه، ومنظومة قيمه الإيمانية والإسلامية والتربوية.

* إعطاء القيم الحقيقة لكل عمل في الشعائر الحسينية لأن الشعائر تعكس الواقعة وإن كانت بنسب متفاوتة، والشعيرة الناجحة هي التي تعكس التطبيق الفعلي في شخصية الفرد وتترك آثارها الإيجابية فيها، ويجب أن تعمل هذه الشعائر على أن يتقمص منها الفرد بعض السلوكيات الايجابية ويترك السلبية.

* العمل على خلق حالة الوعي الاجتماعي الجماعي لدى أفراد المجتمع، ولا سيما أن الشعائر الحسينية جماعية تعاونية تخلق روح العمل الجماعي التعاوني، وتساعد على أن يتعلم الأفراد من بعضهم البعض وتسهم في خلق حالة تواصل اجتماعي بين الأفراد عن طريق تعاونهم على البر والتقوى، وبذلك تكون الشعائر الحسينية مجموعة من الأنشطة، والإجراءات التي تعتمد على تعاون، وتفاعل الناس، لإنجاز عمل معين، ضمن مادة أفكار وعقيدة واحدة.

* وأخيراً توعية المجتمع بأن الشعائر الحسينية هي جزء من نهضة الثورة الحسينية، وهي الإرث الباقي الذي تركته هذه النهضة، والذي يجب المحافظة عليه وتنشئة جميع الأفراد والأبناء عليه، لأن المحافظة عليه جزء من الوفاء للنهضة وقائدها وشهدائها الكرام.

* * *

الهوامش:

(١) Early childhood, Behavior and learning, P. ٣٥٨. Landreth et al

(٢) دراسات في علم نفس المرضى/ رشاد علي عبد العزيز موسى: ص ٥١٦.

(٣) الشخصية والصحة النفسية /الداهري والعبيدي : ص ٤٧.

(٤) : البناء الاجتماعي للشخصية، مجلة العلوم الاجتماعية/ هارلمان : ص ١٩٦.

موعظة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

إعداد: حسين جودي كاظم الجبوري •

ينابيع

إن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء ليس حدثاً كسائر الأحداث في التاريخ. بل عاشوراء كانت تحمل في طياتها وعياً وإرادة، فكانت رمزاً للوقوف في وجه الأنظمة الجائرة في تاريخ الإسلام، وكانت عاملاً محفزاً للمحرومين للتصدي بوجه الانحراف. إن أحداث عاشوراء تحولت إلى ثقافة. هذه الثقافة لها الدور الكبير في إعلان الثورة والصمود بوجه الظلم والطغيان. إن خروج الإمام الحسين عليه السلام كان لطلب الإصلاح وكان عليه السلام وأصحابه أبصر الناس بواقع الفتنة والصراع بين الحق والباطل لأجل الدعوة إلى الله تعالى، وإقامة الحق، وقد عبر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك الصراع، وحدوده بإقامة خطين لمعسكرين، الحق والباطل، فهو يقول عليه السلام: (إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[1].

لدينا منهجان ولكل منهما مقوماته وغايته وحركته في هذا الحياة، يوم عاشوراء أو ليلتها كان واضحاً، آثار وسلوك معسكر الإمام الحسين عليه السلام الذي امتلأ بالعبادة وحب الله تعالى وتلاوة القرآن واندفاع وشوق نحو لقاء الله تعالى، وأخيراً بذل المهج قتلاً لأجل تحقيق أهداف الرسالة الإلهية. وفي قبال ذلك معسكر امتلأ عصيان الله تعالى وحب الدنيا والركون للظالم، وأخيراً إعانة الطاغوت في قتل سبط نبي الرحمة صلى الله عليه وآله.

فالاختلاف جذري بين منهجين في الفكر والسلوك.

ولو تتبعنا كلمات الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الأولى يوم عاشوراء للاحظنا ملامح الصلاح والاستقامة، ذلك المنهج الذي أوضحه الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية حركته حتى لحظة المواجهة، وأخذه في موعظة القوم، وتذكيرهم، وأحد تلك

الملامح هو التذكير أو الموعظة.

إن التذكير هو لون من ألوان الدعوة الإلهية، فالقرآن يخاطب النبي صلى الله عليه وآله (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) إن دعوة الأنبياء هي تذكير الإنسان، وإحياء القلوب الميتة بالوعظ والإرشاد وتنبيه الفطرة بالرجوع إلى خالقها، وإن هذه الدنيا محدودة، ومعرفة حقيقة هذا العالم وأنَّ هناك عالماً أبدياً ينتقل إليه الإنسان بعد الموت، وغير ذلك من مهمات أصول الدين، وما بين المبدأ والمعاد الذي تدور فيه أبعاد تلك التذكرة القرآنية. إن هذه القضية هي جزء من حركة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية بأن يوجه الناس ويهديهم ويضع الأشياء في مدارها الصحيح، وهي أيضاً جزء من الخطاب الحسيني حتى بعد انتهاء الواقعة، روى الطبري قال: قام الحسين عليه السلام بذى حسم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد إنه قد نزل بنا من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبقَ إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً... فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)[٢].

وأما في يوم عاشوراء يقول الإمام الحسين عليه السلام في أول خطبة له مع المعسكر الآخر بعد أن دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عالٍ يسمعه جلهم: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي)[٣].

وقوله عليه السلام: (حتى أعظكم) فهي موعظة ودعوة إلى الحق. إنها موعظة فيها هدى ورحمة وشفاء: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)، لكن أنّى لهذه الآذان أن تسمع، وهذه القلوب أن تعي وقد امتلأت بحب الدنيا وعاثت فيها الشياطين، وكيف ستجد كلمات الحق إليها سبيلًا، إنها دعوة إلى سبيل الله تعالى ودينه بالحكمة والحجج الكاشفة عنه، والموعظة الحسنة من خلال الأقوال المقبولة المقنعة، والمجادلة بالتي هي أحسن طرق المناظرة والنصح.

وأيضاً من معالم منهج الإصلاح والتغيير ـ لأجل إقامة العدل الإلهي ـ هو أن يستلم دروسه من الأنبياء، وهذا واضح من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وتضمينه لخطبته بآيتين يخاطب بها معسكر عمر بن سعد وجيشه، فبعد أن دعاهم لسماع قوله وأن يعطوه النَّصَف من أنفسهم ويقبلوا قوله فقال: (وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النَّصَف من أنفسكم (فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ) (يونس:٧١).

(إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (الأعراف:١٩٦).

إن تضمين تلك الآيات في حديث الإمام عليه السلام يعبر عن دلالات يتضح بعضها

بعد الوقوف على تلك الآيتين.

وردت الأولى في سورة يونس/٧١ وتتحدث عن نبوة نوح عليه السلام الذي أرسله الله تعالى إلى قومه الذين دخلوا معه في صراع انتهى بالطوفان، قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ) فالقرآن يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله أن يتلو على الناس نبأ نوح وأن يحدثهم عن مواجهته لقومه لأخذ العبر، فتحدى عليهم بأن يفعلوا ما بدا لهم، (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي) ونهضتي لأمر الدعوة إلى التوحيد أو منزلتي من الرسالة (وتذكيري بآيات الله) وهو داعيكم إلى قتلي وإيقاع ما تقدرون من الشر بي لإراحة أنفسكم مني (فعلى الله توكلت) فأنا مستمر في دعوتي متكلاً على الله تعالى (فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ) الذين تزعمون أنهم ينصروكم (ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) والغمة هي الكربة والشدة وفيه معنى التغطية كأن الهم يغطي القلب (ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ) بدفعي وقتلي (وَلاَ تُنظِرُونِ) ولا تمهلوني. وفي هذه الآية يتحدى نبي الله نوح عليه السلام قومه بأن يفعلوا ما بدا لهم وإظهار أن ربه قدير على دفعهم عنه وإن أجمعوا عليه وانتصروا بشركائهم وآلهتهم[٤].

ومن هذا نفهم درساً للعاملين في الإصلاح والجهاد في سبيل الله تعالى أن يفهموا جيداً تاريخ مواجهة النبوة وخط الرسالة على الأرض لكل أنواع الظلم والانحراف ليكتسبوا دعماً وحيزاً في حياتهم ومواقفهم ويدركوا قوة الثبات على الموقف والالتجاء إلى الله تعالى مُدَبِّرِ الأمور وهذا ما تؤيده الآية الثانية بأن الله يتولى أمر الصالحين ودعوتهم لحكومة العدل الإلهي.

أما الآيات التي وردت في الأعراف ١٩٥- ١٩٦ قال تعالى: (...قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله بأن يقول لهم ادعوا شركاءكم لنصركم عليَّ ثم كيدوني ولا تمهلوني إن ربي ينصرني ويدفع عني كيدكم فإنه الذي نزل الكتاب ليهدي به الناس وهو يتولى الصالحين من عباده فينصرهم وهو القائل: (...أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[٥].

الظاهر أنه تحدٍ من الإمام الحسين عليه السلام لهم كما ورد ذلك من فعل الأنبياء عليهم السلام.

وأيضاً من القضايا المهمة التي ركز عليها الإمام الحسين عليه السلام في خطبته هذه

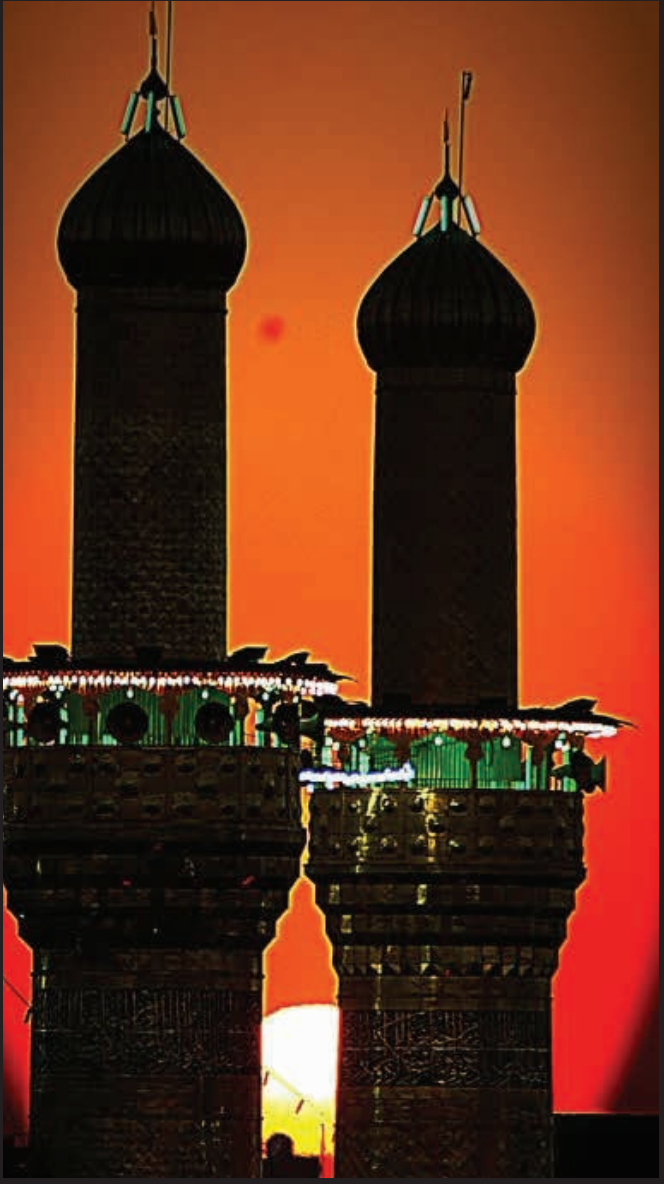

هــو الحديث عن الدنيا حيــث قال: (عباد اللّه اتقوا اللّه وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحــد لكانت الأنبيــاء أحق بالبقــاء وأولى بالرضا وأرضــى بالقضــاء، غير أن اللّه خلــق الدنيا للفناء فجديدهــا بالٍ ونعيمها مضمحــل وســرورها مكفَهِــر والمنــزل تلعةٌ والدار قلعةَ فتــزودوا فإن خير الزاد التقــوى واتقوا اللّه لعلكــم تفلحون، أيها الناس إن اللّه تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكــم هذه الدنيا فإنهــا تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب من طمع فيها...)[٦].

إن الحديث عن الدنيا شــيء مهم من تلك الموعظة، لقد خصها في الذكر وهي موعظــة من القــرآن، لأن أكثــر القرآن مشــتمل على ذلــك وصرف الخلــق عنها ودعوتهــم إلــى الآخرة بل هــو المقصود مــن بعثــة الأنبيــاء، وكــذا مــا ورد عن النبيﷺ في بيان حال الدنيا، وعن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فــي أكثر من خطبة له في نهــج البلاغة في ذم الدنيــا والتزهيد فيها.

وحقيقة الدنيا هــو كل ما يحصل عليه الإنســان قبل المــوت في حياتــه من لذة وشهوات وغيره من الحظوظ العاجلة فهي دنيــا وفي قبال ذلك، مــا بعد الموت فهو الآخرة، وقد جمعــت الآية الكريمة الدنيا بقوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّــهَوَاتِ مِنَ النِّسَــاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيــرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَــبِ وَالْفِضَّــةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَــوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (آل عمران، الآية: ١٤).

والمذمــوم مــن هذه الدنيــا هو هوى النفــس أي حبــه للدنيــا وتعلقــه بها حتى يصير قلبه كالعبد لها، قال تعالى: (...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات، الآية: ٤٠ـ ٤١).

وبســبب تعلــق قلب الإنســان بأعيان الدنيا المذكورة فــي آية آل عمران تتولد في باطنه بسبب شهواته أو غضبه كالرياء والســمة وســوء الظن والحســد والحقد والكبر وحب المــدح والتفاخر والتكاثر. فالضابط في الدنيــا المذمومة هو كل ما

ليس لله تعالى في الدنيا ويحرص عليه ابن آدم وبسبب طبيعته الشهوانية أو سبب وجود قوة الغضب، فيميل إليه بقلبه، ولا يكون وسيلة للآخرة فهو من الدنيا والعكس أيضاً، فالإنسان قد يزاول أعمالاً في الدنيا وهي لله تعالى فهي من الآخرة، لذا قال النبي صلى الله عليه وآله: (حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة)، مع أنها من أعمال الآخرة[٧].

فالدنيا ليس كلها مذمومة بل هي متجر المؤمنين وسوق العارفين ومحل كسب الكمالات ليصل الإنسان من خلال هذا الممر والمجاز إلى الآخرة. لكن المذموم هو التعلق بتلك الأمور التي تقطع طريق عبادته وتكون سبباً لانحرافه.

وحب الدنيا له شعب كثيرة، والمال بعض أجزائه والجاه بعضها، واتباع شهوة الفرج بعضها، ومنها تشفي الغيض، وكذا الحسد والكبر وطلب العلو، وبالجملة لها أبعاض كثيرة، وأعظم آفاتها المتعلقة بالقوة الشهوية هو المال الذي بفقده يحصل الفقر ولوجوده يحصل الغنى، وهما حالتان يحصل بهما الامتحان، قال النبي صلى الله عليه وآله: (أخلاء ابن آدم ثلاث: واحد يتبعه إلى قبض روحه وهو ماله، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله)[٨].

فالإمام الحسين عليه السلام في خطبته يذكّر عباد الله بالتقوى والحذر من الدنيا وهي المذمومة التي تشغل الإنسان عن الهدف

الأسمى وتصده عن الآخرة (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)، ويذكر الإمام عليه السلام من صفات الدنيا، فهي الفانية والمبلية للأجساد، ونعيمها محدود فلا نندفع في الآمال والطموحات كثيراً ونتبع الهوى بل علينا التوجه إلى سفر الآخرة والتزود بالتقوى بترك المحرمات وفعل الطاعات.

إن كل ما في عالم الطبيعة والسماء والأرض ـ أي عالم الدنيا ـ هو في حركة تدريجية ومن ثم الزوال والفناء، وتظهر آثار تلك الحركة وذلك التغير علينا، فتبدو فينا علامات الضعف، وهل يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه ضعفه؟ نحن مشغولون بتعمير الأبدان وأحياناً ننسى أنفسنا وأمراضها التي تؤثر في سلوكنا وأفعالنا، إن معرفة الإنسان لنفسه والوقوف على عجزه وقلة حيلته وفقره أمام الكون ونظامه وإدراك محدودية هذا العالم ومن ورائه الموت، لهو وازع مهم ـ في حركة الإنسان عبر التأريخ.

إن علينا التفكير والتأمل في هذا المطلب لكي ينظر الإنسان بنفسه لمعرفة مبدئه ومعاده، فتكون الموعظة من هنا أقرب إلى تهذيب النفوس بتذكيرها بالموت والفناء.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص١٧.
(٢) تاريخ الطبري ج٧، ص٣٠٠-٣٠١.
(٣) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ ص٩٧.
(٤) انظر الميزان ج١٠ ص٩٧ طبعة الأعلمي بيروت ١٤١٧هـ.
(٥) انظر تفسير الميزان ج٨ ص٣٨٢.
(٦) يوم عاشوراء مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص٢٤.
(٧) جامع السعادات ج١ ص٤٢١ فما بعد للشيخ النراقي منشورات بني الزهراء عليهم السلام إيران ٢٠٠٧م.
(٨) جامع السعادات ج١ ص٤٤٧- ٤٤٩.

مركب النقص والشذوذ النفسي

في شخصية يزيد بن معاوية

عبد الواحد الشيخ محمود •
كاتب وباحث

ينابيع

قبل أن أدخل في تفاصيل مركب النقص والشذوذ النفسي عند يزيد بن معاوية لابد أن أستعرض حياته بشكل موجز حتى تصبح الصورة واضحة للقارئ، فيزيد الذي استمر حكمه ثلاث سنوات وثمانية أشهر، ولد في قرية الماطرون في بادية بني كلب بعيداً عن معاوية، عندما قررت ميسون الكلابية طليقة معاوية الخروج من ظلم معاوية وقسوته وهي حامل بيزيد، وبعد ولادته بسنتين التحق بأبيه في دمشق ليحرم من حنان الأم وتربيتها ويعيش عيشة الولد السائب بين أب مشغول عنه باللهو والحروب وبين أم بعيدة عنه، هذا إضافة إلى أنه نشأ وهو يحمل موروث أسرة وثنية حاقدة على الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، كونهم من (الطلقاء)، لذا نشأت عنده مجموعة من العقد والأفكار السلبية والعدوانية ليتولد عنده مركب النقص، وقد زاد من معاناته أيضًا أثر الجدري الذي ملأ وجهه. الشذوذ النفسي ومركب النقص هذان رافقاه طيلة حياته، وأنتجا شخصية عدوانية ونشاطاً مفرطاً مضطرباً وسلوكاً لاهياً عابثاً فانتهك الحرمات وأحل الموبقات. وأخذ يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، خمِّيرًا سكِّيرًا حتى لقب بيزيد الخمور[1].

مركب النقص في شخصية يزيد:

المقصود بعقدة النقص مجموعة أفكار ذات شحنة انفعالية قوية تدور حولها يشعر به الإنسان من قصور حقيقي أو وهمي يدفعه إلى نشاط مضطرب وسلوك متطرف معادٍ للمجتمع دليلاً على السخط الذي يحمله، والنقص الذي لا يستطيع

تجاوزه، ويصبح لديه سمة شخصية لا يقدر على حلها وتصبح هذه العقدة لا شعورية كامنة، بعد ما يتعرض الشخص في سنواته الخمس الأولى إلى صدمة أو معاملة سيئة أو قسوة أو إفراط متطرف، ويصبح على مر الأيام مستبداً قاسياً[٢].

فلو تتبعنا حياة يزيد بن معاوية منذ ولادته، عندما قام أول تمرد داخل بيت معاوية على النظام الأموي والذي من خلاله تصدعت العائلة، وتمثل برفض ميسون بنت بحدل الكلابية العيش مع زوجها معاوية تحت سقف واحد، وصعد خط التصدع عندما جاهرت برفضها لحكمه وطغيانه وقساوة الحياة التي عاشتها مع شخص لا يتورع عن استعمال البطش والخدعة والحيلة في سبيل كرسي الحكم، والمهم أن ميسون الكلابية لم يرق لها هذا النظام وهذا الظلم، فقد اختارت العيش مع قومها بعدما رفضت هذا الزيف والظلم وخرجت من المستنقع لتعيش حياة الكفاف والجفاف مع بني قومها وهي مرتاحة النفس والبال فقد سمعها معاوية تردد أبياتاً من الشعر قائلة:

وبيت تخفق الأرياح فيه
أحب إليَّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إليَّ من لبس الشفوف
وأصوات الرياح بكل فج
أحب إليّ من نقر الدفوف
وخرق من بني عمي نحيف
أحب إليّ من علج عنوف[٣]

ولا شك أنها تعمدت أن تسمع هذه الأبيات لمعاوية حتى قال لها ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً فطلقها وهي حامل بيزيد فولدته في البادية وأرضعته عامين ثم أرسلته إلى أبيه غير نادمة. وأحسبها قد انطلقت فرحة مزهوة وهي تغادر بؤرة الظلم والفساد غير آسفة ولكنها كانت تحمل في أحشائها يزيدَ، وقد فتح عينه على عائلة ممزقة، فالأم بعيدة عن الزوج وهذا يعني أنه ولد في أسرة مفككة، فالأم في واد والأب في واد آخر، وهذا التصدع قد أثر في نشأته الأولى إذ تعد مرحلة الطفولة المبكرة

أساساً في تكوين شخصية الطفل كما يرى علماء النفس[٤].

الطفل الوحيد:

لم تلد ميسون لمعاوية غير يزيد فهو الطفل الوحيد الذي ولدته لمعاوية، ولا شك أن هذا الإحساس بالوحدة من قبل يزيد شكل في حياته صدمة نفسية لم يستطع التخلص منها طوال حياته، هذا الشعور بالنقص وانعدام الأمن وخاصة في وقت مبكر من الطفولة التي هي أساس الصراعات والانفعالات التي يستفحل أمرها بالتدريج لتصبح الجانب الغالب في تكوين الناحية النفسية للطفل في صورة أزمة نفسية عصبية شديدة تحاول أن تجد لها منفذاً فتؤدي إلى انحراف سلوكي وشذوذ نفسي ولعل من أسباب هذا الانحراف السلوكي افتقار الطفل إلى الرعاية والعطف والحنان والتعارض في الأهواء في تربيته ضمن الأسرة الواحدة ومنها فقدان الأقران والأصدقاء والغربة ومن ضمنها أيضاً تلقّيه أوامر قاسية عليه أو الإفراط في تدليله وتركه يعمل كما يشتهي[٥].

هكذا بدا يزيد منكراً في داخله، فظهر للعالم بهذه البشاعة والقسوة المفرطة، وكأنه يريد أن ينتقم على ما فقده من العمق الوجداني ودفء الأسرة.فقد اتسمت حياته بالشذوذ النفسي والنزق والتهور، فلم تكن شخصيته شخصية قيادية سياسية، فقد ثار عليه أهل مكة والمدينة لجرائمه المتعاقبة، ولشربه الخمور وحياة اللهو والمجون، فكان جل وقته يلعب القمار واللهو العابث، ولم يكن مع أهل العراق أحسن حالًا مع أهل مكة[٦].

تأثير مركب النقص على شخصية يزيد:

في مثل هذه الأجواء تربى يزيد فجدته(هند) أم أبيه التي تزوجها أبو سفيان بعد أن طلقها الفاكه بن المغيرة بسبب خيانتها لفراش الزوجية[٧]، وأمه المغيبة عنه. يقول أبو الفرج الأصفهاني

صاحب كتاب الأغاني: بأنه يزيد الخمور ويزيد الصقور ويزيد الفهود ويزيد القرود، وقد قال الجاحظ أيضاً في كتابه البيان والتبيين ص٢٧٦:(ثم ولي يزيد بن معاوية يزيد الخمور ويزيد القرود الفاسق في بطنه والمأبون في فرجه عليه لعنة الله وملائكته).

الخليفة المأفون:

لما مات معاوية سنة ٦٠هـ تولى الحكم بعده يزيد بعد أن استخلفه معاوية بالقوة، وقد اتسمت خلافته بالتهور والغباء والضعف،كما وصفه عبد الملك بن مروان، في أول خطاب له عند ولايته، فقد صعد المنبر وقال:

أيها الناس ما أنا بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا بالخليفة المأفون (يعني يزيد) والمأفون يعني: ضعيف العقل[٨].

لقد خرجت الخلافة من البيت السفياني إلى البيت المرواني بعد موت معاوية بن يزيد الذي استمر حكمه أربعين يومًا. ثم تخلى عن الحكم لعدم قناعته بتولي آل أبي سفيان أمر المسلمين وفيهم آل محمد، الذين هم أولى بالحكم والرئاسة، منتقدًا جده معاوية وأباه يزيد[٩].

ثم تلاه في الحكم مروان بن الحكم واستمر البيت المرواني ببطشه وظلمه مثلما فعل معاوية ويزيد من البطش والتقتيل.

سنوات حكمه:

كانت سنوات حكم يزيد شؤماً (كما يقول سعيد بن المسيب).

ففي سنة حكمه الأولى قَتلَ سبط رسول الله الحسين بن علي عليه السلام وسيد شباب أهل الجنة ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد منع جيشه بقيادة عمر بن سعد من وصول الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ماء الفرات في يوم قائظ في العاشر من المحرم الحرام سنة ٦١هـ، فقضوا عطاشى في أرض كربلاء، فنال بفعلته

هذه سخط التاريخ عليه وعلى بني أمية جميعهم.

ولم يتباطأ في استقبال بنات رسول الله سبايا في الشام في اعتقاد منه أنه يستطيع إخماد وهج الرسالة، وثأرا لأشياخه يوم بدر، وهو القائل أبيات ابن الزبعرى المشهورة بعد ارتكابه هذه الجريمة:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من أشياخهم
وعدلناه ببدر فاعتدل[10]

* * *

وفي السنة الثانية استباح المدينة المنورة ثلاثة أيام، وفض جيشه ألف عذراء وقتل عشرة آلاف مسلم بيوم واحد وهو (يوم الحرة)، وختم أعناق الصحابة وأخذ البيعة على أنهم خول وعبيد (لأمير المؤمنين) يتصرف بهم تصرف السيد بعبيده.

أما في السنة الثالثة فقد هدم الكعبة بضربها بالمنجنيق وأحرقها[11].

وقد ورد أنّه قال بعد موت أبيه معاوية وإفضاء الأمر إليه: (قد وليت الأمر بعده، ولست أعتذر عن جهل، ولا أشتغل بطلب علم)[12].

فهو يقرّ بعنجهيته ولهوه وجهله، ويفرض على أُمة الإسلام وجوده ويهدّد من يخالفه بالإرهاب والقتل، ولم يكن ما صدر من يزيد إلاّ لأنّ الترف باعد بيّنه وبين الدين، فجعله شخصية دكتاتورية لا يهمها سوى إشباع غرائزها وتحقيق نزواتها مهما كلف الأمر.

هوامش:

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني تحقق د. إحسان عباس ج٣ ط٢ سنة ٢٠٠٥.

(٢) الشذوذ النفسي مظاهره وأسبابه وعلاجه ط١/د. عدنان محمد حسين مكتبة النهضة بغداد/٧ ١٩٨.

(٣) مختصر تأريخ دمشق لابن منظور المجلد الثامن دار الفكر دمشق مطبعة الحافظ تحقيق محمد مطيع الحافظ.

(٤) الطفولة المبكرة في السنوات الخمس الأولى د. نوري الحافظ مط المعارف/٤ ١٩٦.

(٥) الشذوذ النفسي مظاهره وأسبابه وعلاجه ط١ د. عدنان محمد حسن مكتبة النهضة بغداد/١٩٨٧.
(٦) معاوية بن أبي سفيان في الميزان عباس محمود العقاد ط٦/ ٢٠٠٦ دار نهضة مصر للطباعة.
(٧) التأريخ السياسي للدولة العربية/عصر الخلفاء الأمويين د. عبد المنعم ماجد.
(٨) لسان العرب/ابن منظور ج١٣.
(٩) بحار الانوار/المجلسي ج٤٦ ص١١٨.
(١٠) مقاتل الطالبيين/ابو الفرج الاصفهاني ص٨٠.
(١١) المصباح/الكفعمي ص٥١٠.
(١٢) أنظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣/ ٦٥، العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥/ ١٢٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٩٩.

رواية في الطف

* عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: كان الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي، فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي، قالت: يا رسول الله حجة من حججك، قال: نعم حجتين من حججي، قالت: يا رسول الله حجتين من حججك، قال: نعم وأربعة، قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها).

كامل الزيارات: ١٤٤

أجوبة مسابقة العدد(٥٢)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ. ١٣٤٤هـ

السـؤال الثاني: ب. الشهيد الثاني

السـؤال الثالث: أ. ابن حماد

السـؤال الرابع: أ. سودة بنت مسرح الكندية

السؤال الخامس: ب. بعد واقعة الجمل

السؤال السادس: أ. ٤ سنوات و٨ أشهر و٢٠ يوماً

السـؤال السابع: أ. ثلاثة

السـؤال الثامن: ب. ٨ رمضان

السؤال التاسع: ج. ابن خلكان

الفائز بالجائزة الأولى: أحمد مكي محمود/ الحلة ـ حي الامام علي عليه السلام.

الفائز بالجائزة الثانية: مرتجى كاظم جاسم/ الحلة.

الفائز بالجائزة الثالثة: إحسان عبد الزهرة كاظم/ النجف الأشرف ـ حي الزهراء.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٥٤)

١ فان نهزم فهزامون قدماً وان نهـزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن منايانـا ودولـة أخرينا
أبيات فروة بن مسيك المرادي تمثل بها سيد الشهداء عليه السلام، فمتى كان ذلك:
أ. أثناء خطبته يوم عاشوراء ب. بعد لقائه بعمر بن سعد
ج. بعد استشهاد أصحابه كلهم

٢ (إنما أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل...)، بهذا الجواب رد الإمام الحسين عليه السلام على قيس ابن الأشعث عندما قال: إلا تنزل على حكم بني عمك؟، فمن هو المقصود في كلام الإمام الحسين عليه السلام؟
أ. إسحاق بن الأشعث ب. محمد بن الأشعث
ج. عبد الله بن الأشعث

٣ الحاجر مـن بطن الرمة موضع في عاليـة نجد فيه يجتمع القاصـد من أهل البصرة مع نظيره مـن أهل الكوفة، ولما نزل فيه الإمام الحسـين عليه السلام بعث برسالة إلى أهل الكوفة، فكم رسول بعث برسالته؟
أ. رسول واحد ب. رسولان ج. ثلاثة رسل

٤ التقى الشـاعر الفرزدق بالإمام الحسـين عليه السلام في الصفاح، فسأله سـيد الشـهداء عليه السلام عن حال الكوفيين، فقال: أنت أحب الناس إلى الناس، والقضاء في السـماء، والسيوف مع بني أمية، فمن نقل هذا خبر مباشرة عن الفرزدق؟
أ. لبطة ابن الفرزدق
ب. أبن شبرمة
ج. سفيان بن عيينه

كوبون المسابقة

ينابيع ٥٤

جواب السؤال الأول
أ ب ج

جواب السؤال الثاني
أ ب ج

جواب السؤال الثالث
أ ب ج

جواب السؤال الرابع
أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع ٢/ ١٤٣٥هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، كان أبوه عبداً لحمزة بن عبد المطلب، مات بعد شهادة حمزة بسنتين، انضم ولده إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبقي مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام إلى أن استشهد في كربلاء، فمن هو؟

أ. نافع بن هلال ب. أبو ثمامة الصائدي

ج. الحارث بن نبهان

٦ ب لما خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبته الأولى يوم عاشوراء، ذكر أثنائها عدداً من صحابة الرسول، طالباً من الأعداء أن يسألوهم لسماعهم من النبي قوله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فكم عدّهم عليه السلام من الصحابة؟

أ. أربعة ب. خمسة ج. ستة

٧ عمر الأطرف، أحد أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام ونهاه عن المسير إلى كربلاء وقال له: فلو بايعت، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: إن أبي أخبرني بأني مقتول وإن تربتي تكون بقرب تربته؟ فهل التحق بالإمام الحسين عليه السلام؟

أ. لم يلتحق وبقي إلى حين وفاته

ب. التحق ومات في منتصف الطريق

ج. التحق واستشهد في كربلاء

٨ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد دخول سبايا آل البيت عليهم السلام إلى مجلس عبيد الله بن زياد، همّ بقتله عبيد الله إذا قال له ألست صاحب أبي تراب فلم ينكر، ثم أخرجه دون قتله لأنه شيخ كبير، فمن يكون؟

أ. جندب بن عبد الله الأزدي

ب. حذيم بن شريك الأسدي ج. زيد بن أرقم

٩ موضع من المواضع التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام، انضم فيه أربعة كوفيين إلى الحسين فيهم نافع بن هلال البجلي ومعهم دليلهم الطرماح، فما اسم هذا الموضع؟

أ. شراف ب. عذيب الهجانات ج. واقصة

لا يوم منك يا عبد الله

صورة نادرة لجمع من خطباء المنبر الحسيني ويظهر بينهم: ١. الشيخ محمد علي قسام، ٢. السيد جواد شبر، ٣. السيد حبيب الأعرجي، ٤. الشيخ مسلم الجابري، ٥. الشيخ عبد موسى فخر الدين

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية